

روايات مصرية للجيب

6

أشياء تحدث ليلاً

سافاري

www.dvd4arab.com
Hany3H

مقدمة

(سافارى) مصطلح غربى تم تحريفه عن كلمة (سافريّة) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ (سافارى) فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش فى أدغال (إفريقيا) ..

لكن وحدة (سافارى) التى سنقابلها هنا كانت تصطاد المرض فى القارة السوداء .. ووسط اضطرابات سياسية لا تنتهى .. وبينه معادية .. وأهل متشككين .. بطلنا الذى سنقبله دوماً ، ونألفه ، ونتعلم أن نحبه هو د. (علاء عبد العظيم) .. شاب مصرى ككل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذاته بعيداً وسط أدغال (الكامبيرون) ، وفى بيئة غريبة وأمراض أغرب وأخطار لا تنتهى فى كل دقيقة ..

وفى هذه الروايات نقرأ مذكرات د. (علاء) .. نعيش معه ذلك العالم العجيب الذى لم تنجح الحضارة فى تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة المجاتين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرتزقة الذين لا يمزحون .. وسارقي الأعضاء البشرية .. والعلماء المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب كى يظل حياً .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل طبيياً ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافارى) فى (الكامبيرون) .. تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونتسلق البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافارى) ..



١ - فصل عن الأشياء التي تحدث ليلاً ..

ثمة أشياء وأشياء ..

أشياء لا تحدث إلا نهاراً ، وأشياء لا تحدث إلا ليلاً ..
تلك الأشياء الأخيرة تتباين فيما بينها .. لكننا
نجد منها المخيف والمفزع والمثير للتقزز والبشع
والممنوع .. هكذا شأنها ، وإلا فلماذا لا تحدث إلا ليلاً ؟
أشياء تحدث ليلاً ..

★ ★ ★

ثمة أشياء وأشياء ..

أشياء نعرف عنها كل شيء ، وأشياء لا نعرف
عنها أى شيء ..

تلك الأخيرة تتباين فيما بينها .. لكنها تثير فى النفس
قشعريرة باردة ككل ما نجهل .. وهى عين نظرة
الرعب التى تلتصق فى عين طفل يقولون له أن يصافح
(أونكل) .. إنه يجهل (أونكل) لهذا يخشاه كالموت ..
أشياء تحدث ليلاً ..

★ ★ ★

ثمة أشياء وأشياء ..

أشياء نلهو بها ، وأشياء تلهو بنا !

تلك الأخيرة تتباين فيما بينها .. لكنها جميعاً
لها مذاق الملح ، وبرودة الثلج ، وقسوة الصخر ،
ولا مبالاة العدم ..

أشياء تحدث ليلاً ..

★ ★ ★

خذ عندك على سبيل المثال هذا الحادث :

كنت أنا ساهراً فى غرفة الطوارئ بوحدة
(سافارى) ، أرشف القدح الثالث من القهوة - تلك
القهوة عديمة اللون والرائحة والطعم والمفعول - مع
طبيب ألماني مذعور دائماً اسمه (هانس) .. كنت
أثرثر معه وأسأله عن السبب الذى يجعل كل الألمان
اسمهم (هانس) .. ولم يفهم دعابتي لكنه قال فى
كبرياء :

- « ليس كله (هانس) .. هناك (بيتر) و (أوتو)
أيضاً .. »

هنا دوى صوت عربة الإسعاف اللعين المولول ،
وهى تدنو لتقوى حملها الدامى فوقنا ثم تنصرف ..

النعنة ! كانت الليلة هادئة وكل شيء يبشر بأن تظل
كذلك .. لم يبق على الصباح سوى ساعتين .. حرام
عليك أيها الجريح الذي لم يستطع أن يصبر قليلا !
صوت النقالة البرتقالية إياها .. صوت الأحذية
المطاطية للمسعفين الذين يركضون وقد انحنى
ظهرهم ، وهم يجرون النقالة فوق الحصى انخسن
لمدخل الوحدة ..

ثم - ها هو ذا - ترى الجسد الممدد على النقالة ..
رجل هو أقرب إلى سن الشيوخ ، لا يكف عن الصراخ
والعويل .. لكنه صراخ الغضب لا الألم ، وعويل
الاحتجاج لا المعاناة ..

كان زنجياً ذا بشرة داكنة أكثر من اللازم .. نوع
السواد المائل إلى الزرقة الذي تراه في أهل (كينيا) ،
ولا تراه في (الكامبيرون) أبداً .. إن سوادهم هنا
فاتح نوعاً به لمسة من اللون البني ..

كان شعره أشيب مجعداً طويلاً إلى حد ، وجسده
ضئيل قوى كجسد قط برى .. وكان مفيداً إلى النقالة !
كان هذا المشهد معتاداً في (الكامبيرون) على كل
حال .. يندر أن أرى مريضاً لم يقيد كالذبيحة إلى النقالة ..

وبحثت عن (بودرجا) - جهاز الترجمة المعتمد -
فلم أجده ، ووجدت واحداً يتسلل من الباب ليلاحق
بالعجوز ، وقد بدت عليه علامات الالهفة والقلق ..
إنه ابنه أو قريبه دون شك ..

كان الفتى حافى القدمين يرتدى (الشورت) ومن
فوقه فائلة داخلية ممزقة متسخة ، وكان لا يكف عن
التلويح وقول أشياء ..

سألت أحد الممرضين اللذين يجيدان الفرنسية :

- « ماذا هناك ؟ »

أغمض عيني في ملل ، وقال وهو يدس لفافة تبغ
بين شفتيه :

- « إنه مريض ! »

- « استنتاج لا بأس به .. لكن أريد أن أعرف

ما يشعر به .. »

ثم تذكرت فقلت له في ضيق :

- « ممنوع التدخين في المستشفى .. »

ابتسم بركن فمه ، وأشعل لفافة التبغ ، مما دلني
على براعتي وقوة تأثير شخصيتي ، لكنني لم أكن في
ذهن رائق للمشاجرات على كل حال ، ثم إنني

لا أستطيع الشجار بالفرنسية .. لغة المرء الأم هي اللغة التي يستطيع التشاجر بها ، وما كان الأحمق ليفهم حرفاً من العربية ..

سألت زميله في ضيق مماثل :

- « ممّ يشكو ؟ »

تناول لفافة تبغ من صاحبه وأشعلها في بهجة ، ونفت الدخان في وجهي ثم قال :

- « لا يشكو من شيء ! إنه مصرّ على أنهم حمقى ، وأن عليهم أن يطلقوا سراحه حالاً .. لكن هذا الـ »

ودسّ طرف اللفافة المشتعل في عين الفتى ليلفت نظري إليه :

- « هذا الغلام .. يقول إن الرجل لا يكفّ عن العواء والصراخ والهديان .. »

تأملت الرجل وبحذر مددت يدي أتحنّس نبضه (كان مقيداً في وضع المصلوب مما أتاح لي تحسس معصمه) .. ثم سألت السؤال المنطقي :

- « ولماذا لم يقل لهم ساحر القبيلة إن هذه (داوا) ، وإن الأرواح الشريرة احتلت جسد الرجل ، ويقوم بطردها بطريقته الخاصة ؟ »

إنني أدهش عندما تأتي للمستشفى حالة كهذه .. « ابتسم الرجل وأخرج دفتر (السركى) لأوقع عليه .. وقعت باستلام المريض ، ثم طلبت الممرضين كي ينقلوا هذا العجوز إلى فراش مناسب .. وهو فراش نفحص عليه الحالات مبدئياً ..

قال لي المسعف وهو يطوى النقالة مع زميله :

- « إن ساحر القبيلة لم يقل له هذا الكلام لسبب بسيط .. هذا العجوز هو نفسه ساحر القبيلة !! »
ثم أشار لزميله :

- « هيا بنا يا (جون) .. »

★ ★ ★

كان العجوز في حالة هياج لا يمكن وصفها .. وكان انطباعي عنه صحيحاً منذ البداية - وكل انطباعاتي صحيحة إلى درجة أن هذا صار مملاً - في أنه يشبه القط البرى .. ضامر الجسد شرس كالشيطان ، به قوة تقهر ثلاثة رجال .. وبالفعل وجدت نفسي مرغماً على تقييده بالشاش إلى الفراش في ذات الوضع السابق ، لكن رأسه ظلّ

حرا يرتفع كراس الأفعى مهددا بالعض لكل من
يدنو أكثر .. مع لسان لا يكف عن إطلاق السباب
(البانتويد) الذى لم أفهم منه حرفا ، ولست نادما
على ذلك .. إن آخر سبب يفريك بتعلم لغة أجنبية هو
فهم الشتائم التى تطلق عليك ..

قال لى (هانس) وهو يملا محققا بال (فالسيوم) :
- « سأعطيه جرعة الآن .. هذا سيجعل الأمور
أسهل .. »

هزرت رأسى فى غياب :

- « لا بأس .. وأمل ألا تكون حماقة منا .. »

واخترقت الإبرة الأوردة البارزة لتفرغ سحرها فى
دماء الرجل الفائرة ، فسرعان ما استحال المحيط
نهرا .. وبدأ الرجل يهدأ ..

هنا أمكننى أخيرا أن أتأمله ..

★ ★ ★

لم يكن فى وجهه سوى عينين ..

كلا لم يكن وحشا من قصص الخيال العلمى يبدو
كعينين تمشيان على قدمين ، بل أعنى بذلك أنه كان
يملك عينين قويتين حقا ، ومن العسير دوما أن تتذكر
شكل فمه أو أنفه أو شاربه ..

ما سر قوة عينيه ؟ لا أدرى .. ولو استطعت
تفسيرها لكان سهلا على أن أفسر سر قوة الشخصية
أو الحضور أو (الكاريزما) .. حقا لا أمك تفسيراً ..
لكنى أكرر : كانت عيناه أقوى عينين رأيتهما فى
حياتى ، بياضهما بلون العاج .. وسوادهما يشوبه
بعض اللون الرمادى .. وكانت الشعيرات محتقنة فى
ملتحمته مما جعلنى أتذكر عينى (دراكيولا) لحظة
امتصاص الدماء فى أفلام (هامر) القديمة ..

طبعاً لن أقول هنا إن هاتين العينين كانتا ترقصان
رقصة الجنون فى محجريهما .. فأران حبيسان
لا يكفان عن محاولة الهرب ، وفى هذه اللحظة خطر لى
- وكنت محققاً - أن عينين كهاتين يجب إخفاؤهما
بضمادة ..

فرغت من خواطرى ورحت أفعل ما يفعله أى
طبيب مع أى مريض فى أى موقف مشابه .. الضغط ..
الحرارة .. النبض .. عينة دم ..

هنا لفتت الممرضة الكاميرونية (كريستينا)
انتباهى إلى سروال الرجل القماشى .. لقد فقد التحكم
فى جهازيه البولى والهضمى معاً ..

٢- لست على مايرام ..

أشياء تحدث ليلاً ..
بعضها يجلب معه الصخب ، وبعضها يمرّ دون
ضوضاء .. لكننا فيما بعد نعرف أنه كان أكثر بشاعة ..
وأن الصمت قد يتهدّد وينذر ..
أشياء تحدث ليلاً ..

★ ★ ★

تعال مثلاً وأعطني رأياً في كل هذا :
لقد جاء د. (جابرييل) الكاميروني ، وتفحص
حدقتي عين الرجل بكشاف صغير ، ثم أجرى بعض
اختبارات بالمطرقة على الجسد المقيد ..
سألته متلهفاً :

- « ما رأيك ؟ »

لم يردّ لأنه كان منهماكماً للغاية ، وقطرات العرق
تتبت على جبينه الأسود وتنساب على زجاج عويناته
فيجففها بمنديلته ثم يقول لي :

أعدت تأمل وجه الرجل مبتعداً عن مخالِب العينين ..
عرق غزير .. لعابه يسيل من شدقيه .. هياج ..
تبوّل لا إرادى ..

هذه علامات الحمى المخية .. هذا الرجل يعانى
التهاباً فيروسياً فى المخ ، وليشفقونى لو كان رأى
خاطناً ..

لكن ما سببه ؟

استدرت لها وهمست فى أذنها :

- « أنا بحاجة لرأى د. (جابرييل) طبيب
الأعصاب .. من العسير أن أطلب رأى (آرثر شلبى)
الآن .. »

★ ★ ★

- « اعتقد أنك محق .. ثم لا أظن أنك لاحظت هذا ... »

ويشير بإصبعه الأسمر إلى أعلى فخذ الرجل ، وهنا استطعت أن أرى آثار الأنياب التي مزقت اللحم تمزيقاً .. إصابة شديدة لكنها قديمة هي أقرب إلى الالتئام ..

سأل الرجل بلهجة (البانتويد) عن شيء ما .. لكن الرجل أدار وجهه إلى الجانب الآخر وقال : اذهب إلى الجحيم .. كيف عرفت أنه قال ذلك ؟ ليس من العسير على بعض الإيماءات أن تكون بليغة إلى حد أنك تسمعها بلغتك حتى لو كانت باليابانية ..

كان الأمر قد صار واضحاً ..

هذه حالة متقدمة من مرض الكلب .. لقد عض حيوان ما هذا الرجل منذ فترة قد تكون أسبوعاً أو أسبوعين أو ثلاثة ، وقد وصل الفيروس اللعين الشبيه بالرصاصة إلى المخ ، وبالتالي لم يعد هناك ما يمكن عمله سوى جعل لحظات المريض الأخيرة محتملة الألم .. فلم ينج أحد من هذا المرض في

تاريخ الطب ، إذا ما بدأت أعراض الحمى المخية تبدو عليه ..

عض ؟ لا .. هذه خرافة شائعة .. مريض الكلب لا يعض ولا يعوى كالكلاب ، لكنه يصاب بهياج شديد يجعله كوحش كاسر .. وهذا المريض يهاب تيارات الهواء ويهاب الماء - لأنه يخشى آلام ابتلاعه - مما تصق بالمرض اسم (داء الخوف من الماء) أو (هايدروفوبيا) ..

سألت (جابرييل) وأنا أبتعد غريزياً عن المريض :

- « هل ينكر أن حيواناً ما عضه ؟ »

- « نعم ينكر .. وهذا ديدن كل (البانتو) على العموم .. كأنما العض إهانة .. لكن المرء يتعلم في (إفريقيا) أن يلقي بكلمات المريض جانباً ويعتمد على حدسه .. »

ثم هرش رأسه الأشعث وتساءل :

- « سأخذه عندي .. هل تعرف كيف تعالج حالة كهذه ؟ »



كان (هانس) متصلبًا يرمق الرجل الممدد وقد بدا عليه الذهول
حتى إنني اضطررت لمناداته مرتين ..

- « العلاج العرضي .. أمنع الألم والهيّاج والصداع
وأمنعه من الإصابة بالتهاب رئوي .. »
- « تمامًا .. يمكنك أن تأتي لتراه غدًا لو كان
حيًا .. »

وحياتي وحيًا (هانس) بهزتي رأس ثم انصرف ..
كان (هانس) متصلبًا يرمق الرجل الممدد وقد بدا
عليه الذهول حتى إنني اضطررت لمناداته مرتين ، ثم
هزرت ذراعه هذا غير رفيق فتنبه واستدار لي ..

- « أ .. معذرة .. كنت شاردهم الذهن .. »

- « عينا .. أليس كذلك ؟ »

نظر لي في حيرة كأنما يقول : هل لاحظت الشيء
ذاته ؟ ثم قال وهو يهز رأسه :

- « لست مستريحًا لهذا الرجل .. أرجو أن

نتخلص منه سريعًا .. »

- « أشعر بالشيء ذاته .. »

ووقفنا نرمق الساحر الإفريقي ، الذي غزا
فيروس السُّعار خلايا مخه ، فكانت
له الغلبة والكلمة الأخيرة ..

★ ★ ★

عندما تنتهي نوبتجية السهر تشعر أنك ثمل تماما
حتى لو لم تكن قد ذقت الخمر قط .. رأسك يهتز
وحده كأنما هو معلق بياى مرن ، وقدماك رخوتان
كعودى مكرونة ، والكلام يصدر منك قبل أن تعرف
أنك ستقوله ، ثم تسمعه فتتساءل عن المتكلم قبل أن
تعرف أنه أنت !

وقار المهنة نام مرهقا ، حتى إننى وجدتنى أصافح
الممرضة الكاميرونية بأسلوب (كفك) المصرى
الشهير أكثر من مرة .. وصرت أضحك لآتفه وأقل
سبب ..

الحق أننى كنت فى أمس الحاجة للنوم حتى
الظهيرة ..

وفى غرفتى تمنيت لنفسى نوما هادئا ، وقمت
بتشغيل جهاز طرد الأشباح المعلق بالسقف ، ثم
احتضنت الوسادة وقررت أن أفكر فى أشياء مبهجة ..
مثل ماذا ؟ مثل

لقد نمت وأنا أفكر

★ ★ ★

لكن شينا بهيجا واحدا لم يزرنى فى النوم ..
كانت هناك عينان جاحظتان كاسحتان ، وسهل
تمرح فيه الأسود لكنه كان يطل عليها من عل
كالشمس .. وكنت أنا أركض عالما أنه يرانى .. ليس
أمامى سوى اجتياز هذا السهل ..

ولكن الأسود .. إنها ستمزقتى حتما .. كيف أفر ؟
حسن .. لقد مررنا جوار ثلاثة منها لم تعرنى انتباها ..
ولكن هل يستمر هذا ؟

أسد أشعث عملاق يستدير نحوى ويزار .. قدماى
ثقيلتان كعادة الحالمين .. أتصرف ببطء غبى ، وأقول
وأنا أفر :

- « إنه التهاب فى المخ .. التهاب لا أكثر ! »

★ ★ ★

وأصحو من النوم لأدرك أننى كنت أنن بصوت عال ..
أتأمل الضوء الخافت من وراء الستائر ، وأقول
لنفسى : ما زال النهار طفلا ..

دعنا نواصل النوم ..

لا تخافوا يا سادة .. إنه كابوس .. كابوس بسيط
سيزول حالا ..

فلنفكر فى أشياء مبهدج

★ ★ ★

العينان .. العينان ..

★ ★ ★

وأصحو لأجد الظلام الدامس يغمر الحجرة ..
لا أستطيع أن أرى يدي ذاتها .. فيما عدا الأرقام
على المنبه الذى أهدانى إياه خالى يوماً ما .. إنها
السابعة .. السابعة ؟ مساء أم صباحاً ؟
ربّاه ! أنا دخلت الفراش فى الثامنة صباحاً ..
ما معنى هذا ؟

وبصوت مسموع أخذت شهيقاً عميقاً لأتخلص من
شعور الاختناق الذى غمرنى .. وأبعدت الظلام بيدي
كى لا يجثم على روى ..

ربّاه ! لقد نمت إحدى عشرة ساعة كاملة !
ربّاه ! ساعدنى على استعادة دقة ساعتى البيولوجية ..
كان أول ما فكّرت فيه هو الحاجة إلى النور ..
النور سيجعلنى أرتب أفكارى وأفهم من أنا وأين أنا ..
أضأت الأباجورة الشبيهة بقرص مضىء جوار
الفراش ، ثم نهضت مترنحاً لأضىء الحجرة ..
وأخيراً بدأت أفهم وأتوازن ..

ربّاه ! إن على الذهاب إلى قسم العظام حالا ، كى
أعد الحالات التى ستجرى لها جراحة غدًا ..

غسلت رأسى ووجهى بالماء البارد ثم ارتديت
ثيابى ومعطفى ، وغادرت الحجرة مسرعاً .. آه !
الظماً يحرق أحشائى حقاً ..

كان (بسام) التونسى خارجاً من غرفته ، فما إن
رأنى حتى صاح بالفصحى كعادتنا فى التخاطب :
- « حمداً لله على سلامتك .. لقد ضال نومك ..
فلم تستجب لقرعائى على الباب ولا مرة .. »
مسحت وجهى بكفى ، وقلت :

- « كان عليك أن تصر أكثر .. إبنى كالخارج من
مفرمة لحم .. »

- « ما دمت نمت طويلاً فجسدك كان بحاجة
لهذا .. إن الجسد أحكم من العقل أحياناً .. »

حييته ، وهرعت راکضاً إلى قسم العظام ، حيث
كان الطبيب الأسبائى (ميغيل كاساتى) يغلى غيظاً ،
فما إن رأنى حتى صاح :

- « هانتذا أخيراً .. إبنى - حين أطلب شيئاً - لا أتوقع
منك التنفيذ لكنى أتوقع الاعتذار لو لم تنو القيام به ..
كنت قد بدأت العمل بدونك على كل حال .. »

نظرت لساعتي ، واعتذرت في تهذيب .. لم أكن
على ما يرام قط ..
أعطاني قائمة بأسماء المرضى وممرضة هندية ،
وقال إنه ينتظر الانتهاء من المهمة خلال ساعة ..
ولن يقبل أعتذاراً .

يا له من يوم ! يا له من يوم !

★ ★ ★

انتهيت في التاسعة مساءً ، فاتجهت إلى الكافتريا
لأكل شيئاً .. فلم يدخل معدتي طعام منذ يوم كامل ..
كان (بيير) طبيب العناية المركزة جالساً هناك
يلتهم شطيرة من اللحم مع كوب عصير ، فلما رآني
هز رأسه محيياً :

- « تبدو جائعاً كتمساح .. »

- « أنا لا أبدو .. أنا كذلك فعلاً .. »

- « وجبتك الأولى ؟ »

- « بالفعل .. »

- « وأنا كذلك .. »

لم أرد أن أصدع رأسي بالسؤال .. إنه يعمل في
العناية المركزة ولا بد أن يعيش في توتر دائم لأن

هذه مهنته .. لو لم يعمل الطبيب بجد في العناية
المركزة فأين يعمل إذن ؟

قال لي دون أن ينتظر سؤالاً :

- « إن الأطباء مرضى متعبون حقاً .. »

ابتلعت ما في فمي ، ثم سألته دون أن أهتم

بالإجابة :

- « أطباء مرضى ؟ مرحى .. هل أصيب (آرثر

شلبى) بنوبة قلبية أخيراً ؟ »

بدت عليه إمارات الدهشة ، وغمغم :

- « آخر من يعلم ! »

- « يعلم ماذا ؟ »

- « أين كنت بالضبط ؟ نائماً مع أهل الكهف ؟ »

قلت في ضيق وقد بدأ يثير أعصابي :

- « نعم كنت نائماً معهم ، وما زال اختلاف

العملات يثير حيرتي .. اسمع .. يمكنني أن أسخر

منك لأنك لا تعرف ما حدث أمس في (إيدونيسيا) ..

إن السخرية والشعور بالتفوق هينان دوماً ..

قال في شيء من اعتذار :

٣- فى المشرحة ..

أشياء تحدث ليلا ..
قد يكون لها مذاق الحلم ورائحة الحلم وملهسه ..
لكن ما يثير هلعنا هو أن نعرف الحقيقة : للأسف
ليس هذا حلماً ..
أشياء تحدث ليلا ..

★ ★ ★

تظننى أهذى ؟ إذن خذ هذا المثال :
- « لقد انتابنى الهلع .. وتلاشى أى أثر للإرهاق
من جسدى .. إن الإرهاق ترف يحتاج إلى بال رائق
وإلى استرخاء .. لكن (الأدرينالين) الذى تدفق فى
دمى جعلنى متحفزاً كأفعى ..
- « غيبوبة ؟! »
- « نعم .. هياج غير مفهوم ثم غيبوبة .. »
- « هل يمكن أن أراها ؟ »
- « لا داعى الآن .. لن تحب المنظر كثيراً ، ثم
إنهما لن يعرفاك على كل حال .. »

- « كل (سافارى) تتحدث عما أصاب (جابرييل)
و (هانس) ! »
توقفت عن المضغ ، وتصلبت عضلات بلعومى :
- « ماذا دهاهما ؟ »
- « إنهما فى غيبوبة منذ العاشرة صباحاً ! »

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

عدت أسأله وأنا أحاول جمع شتات خواطري :

« ما هو سبب هذه ال... الغيبوبة ؟ »

هز كتفيه في تواضع ، وغمغم :

« حتى الآن لا شيء .. السكر بالدم على ما يرام ..

وظائف الكلى جيدة .. السائل النخاعي الشوكي رائق ..

الأشعة المقطعية للمخ جيدة .. لا توجد سموم من أي

نوع في دمها .. باختصار : لغز كأكثر حالات

الغيبوبة في الواقع .. »

سألته وأنا أتأهب للنهوض :

« هل التهاب المخ الفيروسي ينتقل في مدى

أربع ساعات ، ويحدث تأثيراً ؟ »

مط شفته السفلى وقال :

« لا أظن .. نادرة هي الأمراض التي تكون فترة

حضانتها بضع ساعات .. وعلى كل حال خير من

يفتيك في هذا هو (آرثر شلبي) .. »

« سأحاول معرفة رأيه .. »

★ ★ ★

الآن يجب أن أرى الساحر المسعور إياه ..

إن القصة غامضة لكنني متأكد من شيء واحد ..

لقد رأيت ثلاثة منا هذا الساحر ، غاب اثنان

منهما في غيبوبة ، والثالث نام كالقلى يوماً كاملاً

بلا تفسير ..

وهكذا اتجهت إلى قسم الأمراض المعدية ، وهو

جزء من (سافاري) يتوجس الجميع عند المرور

أمامه .. كان مبنياً وحده داخل نطاق الوحدة ، لكنه

بعيد عن مبانيها الرئيسية ، وله إجراءات معقدة في

الصرف الصحي والتموين وما إلى ذلك .. بالإضافة

إلى إرغامك على ارتداء القفازات والقناع الواقى

وأكياس بلاستيكية تضعها فوق حذائك ..

كان د. (جابرييل) قد نقل الحالة إلى هناك .. فهو

غير قادر على السيطرة عليها في قسم الأمراض

العصبية ..

وسألت الممرضة الآسيوية التي وجدتها هناك عن

مريض الكلب الذي وصل أمس ، فأشارت إلى غرفة

مغلقة وقالت شيئاً ما بالصينية / باليابانية /

بالفيتنامية .. لا أدري بالضبط ..

اتجهت إلى الباب وفتحته .. وكان ما رأيته هو -

ببساطة - فراش دون أغطية وقد قلبت حشيته

المطاطية .. وإلى جوار الفراش كان هناك دلو تفوح
منه رائحة مطهر ما ..

إنها قصة بليغة جداً كما ترى ..

استدرت لأسألتها بالفرنسية في غيظ :

- « لم لا تقولين إنه مات وينتهى الأمر ؟ »

- « ظننتك فهمت .. »

- « متى ؟ »

- « في الثانية بعد الظهر .. ت .. ت .. ت .. ت .. »

.....

واحتقنت أوردتها وكادت سرايين مخرجها تنفجر ،
فعطفت عليها :

- « تريدان أن تقولي (تشنج) ؟ »

- « نعم .. نعم .. »

واستردت أنفاسها ، وبدت عليها الراحة ..

غادرت المكان ، وقد أزمعت أن أتجه إلى المشرفة
لأعرف رأى د. (جيدون) في هذا كله .

وكان عاكفاً على إعداد بعض الشرائح للفحص
مع مساعده الكورى الذى نسيت اسمه ، وشممت

رائحة (الفورمالين) اللعينة التى تحرق العين حتى
تدميها .. لشد ما ارتبطت هذه برائحة الموت فى
ذهنى ..

- « مساء الخير يا بروفيسور .. »

- « مساء .. »

ورفع وجهها الصلب نحوى منتظراً ما سأقول ..
ابتلعت ريقى وسألته فى كياسة عن جثة الساحر
الإفريقى الذى مات بداء (الكلب) ..
قال وهو يشير بيده إلى الثلجاة :

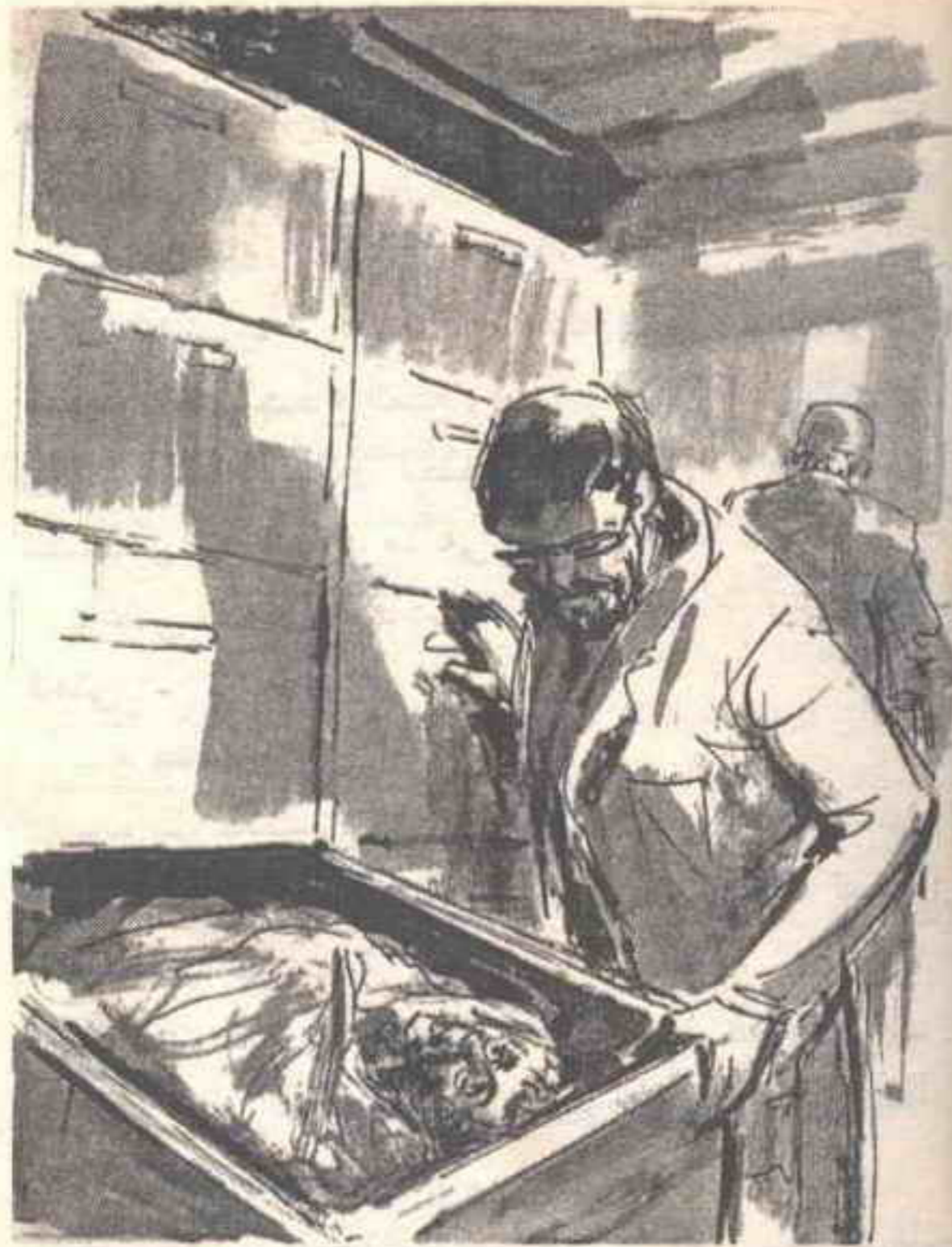
- « هو هناك .. لم أقم بتشريحه بعد .. وأعتقد
أن هذا سيفتح علينا باب جهنم لأن الرجل مقدس
عندهم .. »

- « هل لى أن أراه ؟ »

- « ساموت كمدا لو لم تفعل .. »

واتجهت إلى الثلجاة الأفقية الشبيهة بكومودى
أدراج عديدة .. كنت أخفى لعبى فى طفولتى فى شىء
كهذا .. المشهد ذاته يتكرر لكن محتوى الأدراج
يختلف .. إن الألعاب هاهنا من نوع آخر .

جذبت المقبض البارد للوراء ، وبدالى الشىء



أزحت - بحذر - الملاءة عن الوجه .

هو الوجه ذاته وقد اختارت شفتاه لون الموت الرمادي الجهيم ..

٣٤ - سافاري (٦) أنشاء تحدث ليلاً

الملفوف في ملاءة بالداخل .. لم تكن نستعمل
الأكياس البلاستيكية في (سافاري) لحسن الحظ لأن
هذا يجعل الأمر بشعاً ..

أزحت - بحذر - الملاءة عن الوجه .

هو الوجه ذاته وقد اختارت شفتاه لون الموت

الرمادي الجهيم ..

لكن العينين ! العينين مفتوحتان تحدقان في وجهي

بإصرار مريع ..

للوراء تراجعت خائفاً حتى كدت أتعثر ، وهتفت :

- « د . (جيديون) ! إنه ينظر لي شذراً ! »

لم يرفع وجهه عما يؤديه ، وقال ببرود :

- « إنه ميت يا بني ، ومن العسير أن يرمقك

شذراً .. هذا رأيي ! »

- « لكن عينيه مفتوحتان .. »

في صبر قال :

- « إن هذا يحدث .. لقد حاولت كثيراً غلقهما لكن

هذا مستحيل .. لا بد أنه نوع من التصلب الرمى في

عضلات الجفن .. »

ثم نظر في ساعته ، وقال :

- « سأقوم بتشريحه بعد ربع ساعة .. هل تريد حضور ذلك ؟ »

قلت في لهفة :

- « بالتأكيد .. لكن ماذا تتوقع أن تراه ؟ »

- « لا شيء .. علامات التهاب المخ ، والتغيرات المعهودة في جذع المخ وقرن (آمون) .. ولربما وجدنا علامة التأثير الخلوي للفيروس .. هذا كاف لتشخيص المرض .. ما هي العلامة هنا ؟ »
باغتني السؤال المفاجئ فتوترت ، وقلت وأنا أشد قامتي :

- « جسيم (تور) ؟ »

- « بل جسيم (نيجري) يا فتى .. إن جسيم (تور) خاص بالحمى الصفراء .. يبدو .. أنك نسيت علم الفيروسات .. »

احمرت أذناي - أو هكذا أدركت من حرارتهما - ووقفت أنتظر انتهاءهما من إعداد الشرائح حتى يبدأ عملية التشريح ..

قلت لنفسى : غدا سأكون رائعا .. غدا سأعرف كل شيء عن جسيم (نجرى) و (تور) وعن كل شيء ..

سأقرأ كل شيء وأتذكر كل شيء .. المشكلة أن هذا الغد لا يجيء أبدا .. لا أعرف متى لكنى مطمئن إلى قدومه ، وفي كل ليلة أدخل غرفتي منها لأقرأ بضعة أسطر من ذات الصفحة من كتاب (إيسلباتشر) - وغالبا ما تكون الأسطر ذاتها - ثم أنام .. وغدا يوم آخر يتكرر فيه كل شيء ..

إننى أتعلم قدرا هائلا - ذلك المعلومات فى (سافارى) لكن بشكل شفوى ، أما القراءة - ذلك الفن البشرى العتيق - فشيء لم تعد لى به علاقة تقريبا .. ونظرت فى غل إلى (جيديون) ..

متى وجد الوقت الكافى والمزاج الرائق ليعرف كل ما أعرفه ؟ لهذا صار هؤلاء علماء .. لأنهم استطاعوا إرغام أنفسهم على استكمال قراءة الصفحة العاشرة من كتاب (إيسلباتشر) حين عادوا لغرفهم ليلا ..

لكنى لم أفضل بعد ..

يمكننى أن أكون مثله وأفضل ..

سيكون لى شأن عظيم .. ولكن غدا .. ليس اليوم ! وأفقت من خواطرى على صوت فتح الثلاجة .. تمديد الجسد الزنجى النحيل على منضدة التشريح الرخامية المثقوبة من وسطها ..

نمرة الأولى أشعر بأننى أحب عملية التشريح ..
إنها ستجعلنى أعرف ، ثم إنها ستخلصنى من هذا
التكبان المقيت ..

رفع (جيديون) عويناته لأعلى كى يأخذ نظرة
أشمل .. ثم قال :

- « استعد بالمسجل يا (كيم) .. »

ودس يديه فى القفازين ، وهو يواصل تأمل الجثة :

- « غريب حقاً أمر هاتين العينين .. »

وواصل التأمل برهة كأنما هو شارد الذهن ، ثم قال

وهو يشهق :

- « هل أنتما مستعدان ؟ .. فلنبداً .. »

★ ★ ★

هل أنا أحلم أم أن هذا الإصبع قد اختلج قليلاً ؟

يسمون هذا (هلوسة المشهد الميت) ، وهو

يحدث كثيراً لمن يطيلون النظر فى جثة .. عندئذ

يرونها تتحرك ..

كان أبى فى فراش الموت ، ولم يغطوا وجهه بعد

حتى تهدأ أمى بعض الشيء ، ودخلت الحجرة وحدى ..

راعنى اللون الأصفر كالليمون على وجهه المجفد

المتراخى .. ثم .. ثم أطلت النظر .. رأيت ركن فمه
الأيسر يتحرك .. إنه حى !

لم يملأنى هذا حبوراً - صدقونى - بل ملأنى رعباً ..

ثم .. عرفت أننى كنت واهماً .. ولم يعد أبى للحياة
قط بعد هذا ..

إن (هلوسة المشهد الميت) تتكرر معى الآن بوضوح .

★ ★ ★

قال (جيديون) وهو يضع نصل المبضع على

الجبين العارى :

- « استعد بالمنشار يا (كيم) .. سنبدأ بالمخ حالا

ثم .. »

سألته وأنا أتراجع بحثاً عن مكان لرؤية أفضل :

- « هل هو معد يا بروفيسور ؟ »

- « مع داء الكلب يا فتى لا يمكنك أن تضمن شيئاً ..

كلعابه فوق جرح فى يدك .. لقد انتقلت حالات كثيرة

بسبب زرع قرنية مريض مات بمرض عصبى مجهول

لمريض آخر .. عندها كنا نعرف - متأخراً جداً - أن

المريض الأول كان مصاباً بالكلب .. وهذه هى

القاعدة : لا تزرع أى عضو أخذته من ميت توفى
بداء مجهول .. »

ثم غمغم وهو يتأمل الوجه :

- « الحق أن شيئاً ما غريب فى هذا الـ »

كان هذا آخر ما قال ..

قبل أن يهوى أرضاً .

★ ★ ★

٤ - شرحوه ثانية !

أشياء تحدث ليلاً ..

هناك أشياء وأشياء .. لكن ما يحدث ليلاً له

- دائماً - مذاق خاص حيث الظلام أو الضوء

الصناعى .. ونحن اعتدنا أن الحقيقة لا ترى إلا فى

نور الشمس .. لها ضياء الشمس ذاته ..

أشياء تحدث ليلاً ..

★ ★ ★

خذ عندك - كى تصدقنى - المشهد التالى :

المدير - البروفسور (بارتلييه) - وقد استدعوه

من داره ، يقف ليرمق ما يحدث مذهولاً غير مصدق ..

إنها الساعات الأولى من صباح اليوم التالى ،

وما كان ليحسب حين دق جرس الهاتف أنهم يريدونه

لأمر كهذا .. حائراً شاردًا يجذب شعيرات لحيته

ويتحرك لُغده البدين كأنه فى عنق سحلية (إجواتا) ..

كانوا قد أعادوا الجثة إلى الثلاجة ، وحملوا

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

(جيديون) إلى العناية المركزة .. لقد حاولنا كل شيء كي نعيده إلى الوعي .. إنها لم تكن إغماءة عادية بل غيبوبة كاملة ..

فحصه مختص الأمراض العصبية .. وطلب عمل أشعة مقطعية على مخه برغم أنه استبعد أن نجد شيئاً .. وحقاً لم يكن هناك شيء ، وجاءت أبحاث المعمل لتقول إن الرجل سليم كلوح زجاج ..

صاح (بارتلييه) محققاً :

- « إذن ما الخطأ هناك ؟ إن كل هؤلاء غير أكفاء حقاً .. »

كان خبيراً بالفيروسات ، يؤمن بكل ما هو دقيق وواضح ..

وكان - كأكثر الأطباء الأكاديميين - يضايقه كل هذا الغموض والتباس الحقائق في الطب السريري الذي يمارسه الأطباء العاديون بالسماعة والمطرقة ..

لكن الأطباء الذين يتعاملون مع المرضى يتعلمون هذا سريعاً .. لا يوجد شيء مؤكد أو مكرر أو مألوف في هذه المهنة .. كل مرض هو مشكلة في حد ذاتها ، وحمى التيفود لو أصابت عشرة مرضى لاتخذت عشر

صور مختلفة .. فمريض يسعل ، ومريض في غيبوبة ، ومريض يتبرز دماً ، ومريض يشكو من ألم بسيط في أمعانه .. إلخ ..

لكن (بارتلييه) لن يفهم هذا أبداً .. ثلاثة من أطباء (سافاري) دخلوا في غيبوبة خلال ثلاثين ساعة .. ثم تقولون إنه لا يوجد تفسير ؟

ما نفع الطب إذن ؟ ما جدوى كل الملايين التي تنفق على هذه الوحدة ؟ بل ما نفعكم أصلاً ؟

★ ★ ★

قلت له وهو واقف يتأمل (جيديون) :

- « سيدي .. أنا لا أعرف حقيقة ما يحدث .. لكن ثمة ما يربط بين حالات الغيبوبة هذه .. وقد كدت ألق بهم بدوري لولا شيء لا أدري كنهه جعل غيبوبتي لا تزيد على سبات عميق .. »

بدا عليه الاهتمام وأطرق واضعاً يده على كتفي :

- « استمر يا ابني .. »

وله حكيته عن الساحر ، وعن وفاته بداء الكلب وعن التشريح ..

أصغى لي باهتمام ، ومعه د. (باركر) مساعده .. وحين فرغت هتف د. (باركر) وقد نفذ صبره :

- « داء الكلب لا ينتقل بهذه السرعة ، وبمجرد فحص المريض أو رؤيته من بعيد .. إن ما تحدث عنه لسحر أسود يا بني .. »
ضم (بارتلييه) أطراف أنامله بمعنى (تمهل) ..
وقال :

- « لحظة يا (باركر) .. إن (علاء) لا يقدم استنتاجات بل يقدم مشاهدات .. والبحث العلمي يبدأ بالمشاهدة ثم الفرضية ثم التجريب ثم الاستنتاج .. إن الفتى قد لاحظ ظاهرة تثير ريبته .. فهل لها مغزى ما ؟ »

قلت في إصرار :

- « (جابرييل) و (هاتس) فحصا المريض .. (جيديون) شرع في تشريحه .. هل هذه مصادفة ؟ »
عقد (باركر) ذراعيه على صدره ، وقال :

- « إن كان هكذا فبم تنصح ؟ أتبحث عن طارد أرواح كي يظهر لنا هذا المستشفى ؟ »
ثم أردف وقد تذكر شيئاً آخر :

- « أم لعلك تطالب بحرق جثة هذا الساحر ؟ »

كنت بطبعي أمقت (باركر) وأحب استقزازه ؛ فهو من الطراز نافذ الصبر الذي لا يطيق الشباب .. إنه لا يؤمن بتدرج عملية التعلم .. وهذا سخر حقيقي يمكن فهمه لو قارنت بين طالب السنة الأولى في الكلية وطالب السنة النهائية .. ليس طالب السنة الأولى أغيب أو أكثر حمماً .. هو - فقط - في الدرجة الأولى من سلم التعلم ولن يلبث أن يرتقى بعلمه .. لكن (باركر) كان يرى طالب السنة الأولى - على غراري - بطيئاً جداً ، غيبياً جداً ، سخيلاً إلى حد لا يطاق .. وكأنا - (باركر) - ولد عالماً ..

قلت ببرود :

- « ليس هذا حلاً محبباً لكني قد أقترحه .. »
هنا قاطعنا (بارتلييه) وقد أحس أننا على وشك الشجار .. «

- « سأقوم بترتيب عملية تشريح ثانية .. ولن نترك مجالاً للخطأ .. »

- « ومن الأحق الذي سيقوم بها ؟ »

- « يا له من سؤال ! أنت طبعاً يا د . (باركر) ! »
احمر وجه الرجل للمفاجأة والإهانة معاً ..

لقد نسينا حقاً أنه أستاذ في علم الأمراض
(الباثولوجى) ..

لكنه خشى - كالعادة - أن يبدو جباناً ، فهز رأسه
في حماس صناعى وقال :

- « ليكن .. لكنى أريد هذا الـ (عبد العظيم)

معى .. لقد حان الوقت كى يتعلم شيئاً حقيقياً .. »

قلت له وأنا أتحاشى نظراته :

- « ليكن .. لقد حاولت مراراً حضور هذه العملية
لكنهم جميعاً يدخلون فى غيبوبة ، وعسى أن تكون
أحسن حظاً .. »

- « جميل .. إذن هيا بنا إلى المشرفة .. »

★ ★ ★

استعددتنا لكل شىء ، ووضعنا الكمامات الواقية ،
وارتدى كل منا قفازين فوق بعضهما .. من أدرانا أن
الأمر لا يتعلق بفيروس جديد عات على غرار فيروس
(لاسا) الذى كان يقتل كل من يتعامل مع المرضى
به ، وغدا انتقاله محيراً للعلماء حتى أنهم قرروا
وقف الأبحاث عن الداء ؟

قام المساعد الكورى بتشغيل جهاز الكاسيت ، الذى
كان يحمل آخر ما قاله (جيديون) قبل أن يسقط
أرضاً ..

وبالوقار المناسب لنائب مدير تذكر أنه أستاذ علم
أمراض ، تنحنح (باركر) وقال للكورى :

- « هات الجثة يا (كيم) .. »

اتجه (كيم) إلى الثلجة وعالج الدرج العملاق
إياه حتى فتحه ، وألقى نظرة إلى الداخل ، ثم صاح
مذعوراً بشىء كورى ما ..

إن الأمر لا يحتاج إلى ذكاء كثير ولا جهد
للترجمة

الإنسان لا يصرخ حين يخرج جثة من الثلجة
إلا لو كانت قد تعفنت دون سبب ، أو دبت فيها الحياة
فجأة ..

أو .. لو لم تكن هناك

★ ★ ★

والجثة لم تكن هناك !

من ارتبأكه راح (كيم) ينزع الملاءة ويتفحصها ،
ثم يتفقد الأرض كأنما ما ضاع منه قطعة عملة وليس
رجلاً بالغاً ميتاً ..

في حزم شخط (باركر) من وراء لثامه :
- « ما هذا التهريج ؟ هل تمزحون ؟ »
بصوت كالبيكاء هتف (كيم) :
- « أقسم يا د . (باركر) .. لقد .. أعدته بنفسى ..

لقد

- « ربما تبخر أو أكلته قطة .. لقد صار التسيب
في هذه الوحدة

قلت وأنا أنزل اللثام عن فمى :

- « ليس له ذنب يا د . (باركر) .. الأمر كله
خارج عن نطاق الفهم ، وأراهن على أن هذا الساحر
لم يمت حقاً .. »

- « إنه يجيد إدعاء الموت إلى حد
غير مسبوق .. »

- « الأمر وارد يا سيدى .. لقد دفن مرضى
كثيرون أحياء بسبب داء التصلب ، وهي الفكرة التي
أثارت رعب (إدجار آلان بو) في أقصر قصصه ..
أعتقد أن هذا المدعى يجول حراً في المستشفى
الآن .. »



اتجه (كيم) إلى الثلاجة وعالج الدرج العملاق إياه حتى فتحه ،
وألقي نظرة إلى الداخل ، ثم صاح مذعوراً بشيء كورى ما ..

نظر لى من وراء اللثام .. قطرات عرق تحتشد
على جبينه ..

لو كان فرضى صحيحًا ، فهناك فى (سافارى)
يجول ميت لم يمى ، وهو - بالمناسبة - مصاب
بالسعار !

★ ★ ★

٥ - أين هو ؟

وفى الساعة مساء استدعونى كى أقابل - كالعادة
- بروفيسور (بارتلييه) ؛ فما إن توجهت إلى هناك
مزمجراً عصبى المزاج ؛ وقد استطالت لحيتى أكثر
وأشعل أخلاقى جوعى الشديد إلى الطعام والنوم ؛
حتى رأيت السكرتيرة شاحبة الوجه .. وفى عينيها
نظرة مشجعة مناشدة ..

قالت لى همساً :

- « د . (عبد العظيم) .. حاول أن تتمالك
أعصابك ، وأرجوك .. أرجوك .. لا تردّ عليه أبداً .. »
ذكرتنى بأختى الكبرى ، فلو كانت تجيد العربية
لقالت كلاماً على غرار : اسمع من هنا وأخرج الكلام
من هنا .. أو : كبر دماغك ..

نظرت لها فى حيرة ، ثم دخلت الغرفة ..

فما إن رأتى (بارتلييه) حتى انفجر كالبركان ..
أشعر باتبهار شديد حين أرى كيف ينجح الفرنسيون

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

في استعمال لغة أنثوية مرهقة مثل الفرنسية في
السياب و غليظ القول ..

- « هأنذا أيها ال ! يا لك من غبي أحمق ! كل
العاملين هنا لا يصلحون حتى لتنظيف المراحيض ..
إبنى »

قلت له رافعاً سيابتي منذراً :

- « بروفيسور .. ثمة قاعدة نقولها في (مصر)
دائمًا : إذا ارتفعت الأيدي تساوت الرءوس ..
ومعناها أن كونك رئيسي لا يسمح لك بإهانتى وإلا
فمن حقى استعمال اللغة ذاتها ! »

نظر لى لثائيتين باحثًا عن إجابة .. إن سرعة
بديهيته تخذله دومًا أمام الردود الجاهزة من هذا
النوع .. والواقع أننى أحفظ ثلاثة أو أربعة ردود
مسكته أجابه بها فى كل مرة ، ودائمًا ما ينسى أننى
استعملتها من قبل ..

قال أخيرًا فى شىء من تخاذل :

- « إن من يعجز عن تشخيص الموت لا يستحق
لقب طبيب .. »

رفعت رأسى فى شمم :

- « ومن عجز عن تشخيص الموت هنا ؟ لم أكن
أنا من أرسل ذلك الساحر إلى المشرحة .. لقد كنت
فى شبه غيبوبة فى غرفتى .. »

بدت عليه الحيرة أكثر .. وأدرك أنه فجر قبيلته فى
الهدف الخطأ .. قال وهو يدعونى بيده للجلوس :

- « إذن من الأحمق الذى ؟ »

- « لا بد أنه (جيرى ثورنتون) الأمريكى .. هو
المسئول عن ال »

هنا كان إصبعه قد امتد إلى زر (الدكتافون) ليزار :

- « أريد (جيرى ثورنتون) حالاً ! »

وجاء (ثورنتون) بعد قليل .. رجل ملتحم ذو شعر
ذهبى . ولحيته من الطراز الذى تشك أحيانًا فى
وجوده فهى بلون البشرة تقريبًا .. كان عصبى
المزاج قصير الفتيل ، وأدركت أن مشاجرة عنيفة
ستنشبت هاهنا ..

كان (ثورنتون) واضحًا جدًا .. فى الساعة الثانية
ظهرًا تشنج الساحر بعنف ، وراح يرغى ويزبد وقد
استحالت شفته إلى اللون الأزرق ..

بالطبع حققوه بالـ (فالـيوم) وثبتوا قناع
الأوكسجين على فمه ، ثم وجد (ثورنتون) أن
النوبة أعنف مما يجب مما اضطره إلى تخدير
المريض تماماً وإيلاج أنبوب فى القصبة الهوائية ، ثم
ثبته إلى المرقاب (المونيتور) وراح ينتظر ..

- « لم تكن ثمة أخطاء .. لقد صار رسم القلب
مسطحاً .. توقف التنفس تماماً .. اتسعت حدقتنا
العينين .. لم يعد هناك ضغط دم .. لو كان حياً بعد
كل هذا فإننى بالتأكيد قارفت ذنباً عظيماً حين دفنت
أبى بعد موته .. »

عقد (بارتلييه) كفيه تحت ذقنه كأنما ليصغى
باهتمام أكبر ، وقال :

- « لكن جثتك هذه تركت الثلاثرة ورحلت .. »
- « إن الجثث أشياء كأي أشياء أخرى .. يمكن
نقلها أو سرقتها .. »

هنا احمر وجه المدير كعرف ديك ، وضرب المكتب
بقبضته :

- « المشكلة هى أنه لا يوجد ما يغرى بسرقة جثة
ساحر إفريقى عجوز .. فما هو التفسير ؟ »

وبيد قانطة أشار لـ (ثورنتون) بالانصراف ، فقد
انتهى ما لديه ولم يجد ما يصب عليه بركان غضبه
سوى .. سوى السكرتيرة طبعاً ..
وغادرت المكتب وأنا أسمع زفيره يلومها على أى
شئ .. على فتحها للباب أو عدم فتحها له .. على
إضاعة الأوراق المهمة أو على الاحتفاظ بالأوراق
غير المهمة ..

★ ★ ★

وعند منتصف الليل أفاق (جابرييل) من الغيبوبة ..

★ ★ ★

لم أعرف بهذا الخبر إلا عندما صحت صباحاً ،
وفى الكافتريا قابلت (بيير) يلتهم على عجل شطيرة
من الزبد والمربى على الواقف ..

قال حين رأتى :

- « لقد انتهى الكابوس .. (جابرييل) فتح عينيه

وتكلم .. »

- « حقاً ؟ متى ؟ »

- « عند منتصف الليل .. »

- « بأية معجزة ؟ »

- « لا معجزات .. أو - على الأقل - لا معجزات بشرية .. لقد كان نانماً كالمومياء ثم صحا فجأة .. نزع أنبوب القصبة الهوائية وإبر المحاليل ، ونهض فى الفراش .. وقال : أنا أشعر بتحسن .. ثم طلب بعض الماء .. الكثير منه .. ولم يوجه أسئلة من نوع : أين أنا ؟ »

- « جميل .. وماذا يفعل الآن ؟ »

- « إنه تحت الملاحظة .. ما زال تفاعل حدقتيه للضوء لا يريحنى كثيراً .. ثم إنه يتصرف كالمصابين بالارتجاج .. »

صببت لنفسى بعض القهوة ، وسألته :

- « وهل يعرف ما حدث له ؟ »

- « البتة .. لكنه لا يسأل .. »

ثم سألتنى وهو يعرف الإجابة :

- « هل تريد أن تراه ؟! »

★ ★ ★

نعم أريد .. وهو سؤال ينم عن جهل بطبائع البشر .. فى ضوء النهار بدا لى (جابرييل) شاحباً .. يجب أن تقضى وقتاً طويلاً مع السود كى تعرف كيف يشحبون ..

جالساً فى الفراش يقلب الملعقة فى فنجان الشاي ، شارد الذهن كأنما هو فى بلاد سحيقة وكأنه سيظل يحرك الملعقة للأبد ..

جلست على المقعد بجواره فلم يبد أنه تعرفنى .. لكنه بعد هنيهة همس :

- « مرحباً يا (علاء) .. »

ضربته فى كتفه مداعباً كعادة الأجانب التى لن أفهمها أبداً :

- « هانتذا عدت من الغيبوبة أيها العجوز .. »

لم يضحك .. لم يعلق .. فقط واصل التحديق فى الفنجان ، وغمغم :

- « أحياناً أحسبنى لم أفعل ! »

قربت رأسى من رأسه ، وبحرص سألته :

- « لا تذكر حرفاً مما سبق الغيبوبة ؟ »

امتص رشفة من القدح أحدثت صريراً ، ثم غمغم من جديد :

- « لا شىء .. أنت تعرف أن هذا يحدث دائماً ..

تكون منهمكاً فى العمل تمارس نشاطك ثم .. ثم تصحو

فى الفراش لتعرف أنك كنت فى غيبوبة .. ثانية واحدة

يخبرونك بعدها أنها كانت ثلاثة أو أربعة أيام .. »

- « ولا تذكر حرفاً عما حدث في أثناء الغيبوبة ؟ »
لجق شفته السفلى ، وراح يحاول التذكر :
- « لا أدري .. ربما هو كابوس .. كانت هناك
ص .. صحراء أو سه .. »

أكملت كلمته :
- « سهل .. وكانت تمرح فيه الـ .. »
هز رأسه مصدقاً :

- « الأسود .. وكانت عينان قويتان لا تفارقان
وجهي .. بل عالمي كله .. وكان على أن أجتاز
السهل .. وبعدها .. »

ثم حلق في وجهي واتسعت عيناه أكثر :
- « ولكن .. كيف عرفت ؟ هل كنت أتكلم
في .. »

- « بل الأمر أسوأ .. لقد رأيت أنا الحلم ذاته ! »
وجلسنا نتبادل النظرات لفترة لا يعلم سوى الله
(سبحانه وتعالى) طولها ..

★ ★ ★

وكان التفتيش جارياً على قدم وساق في
(سافاري) ..

فريق من العمال يحمل الكشافات ، ويفتحم الغرف
ويزحف إلى ما تحت درجات السلم الرطبية المظلمة ،
ويبحث في خزانات الحائط وفي محارق القمامة وتحت
الأسرة ..

المطلوب : جثة ساحر إفريقي عجوز .. من
يجدها يخبرنا يا أولاد الحلال وله مكافأة لا بأس
بها أبداً ..

كيف ولماذا تختفي الجثث بهذه البساطة ؟ من
المؤكد أن أحداً لم يمزقها أو يحرقها أو يذيبها في
الحمض .. فأين ذهبت ؟

★ ★ ★

(موجازا) كهربائي الوحدة يهبط إلى القبو ..
لماذا يهبط إلى القبو ؟ يا له من سؤال ! طبعا
ليختلس لفافة تبغ كان في أشد الشوق لها ، وهو يعلم
أن د. (باركر) لا يقبل الأعدار ولا يمزح مع من
يخالفون أوامر عدم التدخين في (سافاري) .. وكان
الأطباء المدخنون يتظاهرون بأنهم مصابون بالإسهال ،
بينما العمال المدخنون يتظاهرون بأن القبو في حاجة
إلى تنظيف ..

لم يكن موصداً بإحكام .. فى الواقع انفتح بسهولة
تامة ..

وعلى الأرض تمدد جسد أسود نحيل ، كخرقة تم
تلميع حذاء بها ..

ولم يكن (موجازا) ذكياً ..

لكنه عرف على الفور من هو صاحب هذه الجثة ..



www.dvd4arab.com
Hany3H

www.dvd4arab.com

أشعل عود ثقاب ولامس طرف اللقافة به فتوهج ..
تصاعد الدخان وأوشك أن يهز العود ليطفئه .. لكنه
توقف ..

كان القبو ككل قبو آخر .. مظلمًا به فأر أو فأران
لا يستأهلان استتجار شركة تطهير للخلاص منهما ،
وكانت به مواسير مياه صدئة وعدد هائل من لوحات
توزيع الكهرباء والقوابس .. و

وصندوق خشبي ضخم !

لم يكن (موجازا) من المولعين بفتح الصناديق
الخشبية الضخمة ، لكنه فى هذه المرة شعر بفضول
أقوى من أن يُدفن ..

صندوق خشبي يبدو كالتابوت .. لكنه فى وضع
رأسى ..

هوووم ! غريب هذا ..

مد يده ليفتح الغطاء وهنا كان العود قد لسع أنامله
توطئة لأن ينطفئ .. وهكذا أخرج عودًا آخر وحكه
فى الجدار كعادته ثم رفعه ليتوهج ، ومد يده يفتح
الغطاء ..

٦ - جنة وصحراء وغيبوبة وحملة ..

أشياء تحدث ليلاً ..

حقاً هناك - بالتأكيد - أشياء وأشياء .. أشياء
تحدث نهاراً وهي في الغالب بهيجة سارة ، وأشياء
تحدث ليلاً ليس بهيجة فيها إلا رحيلها وليس ساراً
إلا زوالها ..

أشياء تحدث ليلاً ..

★ ★ ★

والآن تعال نر المشهد التالي ، وهو - بالمناسبة -
يحدث ليلاً :

ستة من كبار علماء (سافاري) يلتفون حول
الجثمان الأسود النحيل ، كضباع تكأكت على غزالة
ضعيفة .. الفارق هنا هو أن الضباع مذعورة
والغزالة تثير الفرع والتطير ..

وكان الفحص دقيقاً .. شاملاً .. بلا ثغرات ..



لم يكن موصداً بإحكام .. في الواقع انفتح بسهولة تامة .. وعلى
الأرض تمدد جسد أسود نحيل ، كخرقة تم تلميع حذاء بها ..

في النهاية مسح د. (باركر) العرق عن جبينه
بكتفه لأن يديه كانتا ملوثتين ، وقال لاهثاً للمدير الذي
وقف على بعد ثلاثة أمتار :

- « اعتقد يا سيدي أنه ميت حقاً .. »

تأمل المدير القلب الذي انتزعوه ، والرننتين والكبد ،
والمخ الذي حولوه إلى شرائح رقيقة ، وقال :

- « حتى لو لم يكن قد مات ؛ فأنتم قمتم

باللزام ! »

ثم التفت إلى د. (شلبي) - بكسر الشين وتسكين

اللام طبعاً - وقال :

- « ما رأيك يا د. (شلبي) ؟ »

تنحج المذكور بالوقار اللازم ، ونزع قفازيه قائلاً :

- « لا يمكن استباق الفحص المجهرى .. لكنى

وائق من أن هذا الرجل مات بحمى مخية .. ولا يوجد

ما يمنع من أن يكون داء (الكلب) .. »

هز المدير رأسه في رضا ، وغمغم :

- « سأبحث عن ذلك الفيروس اللعين بكل الأساليب

الممكنة .. ولكن هل جاء واحد من قبيلته يطالب

بجثته ؟ »

قلت أنا وقد جاء دورى :

- « لا يا سيدي .. يخيل إلى أنهم مسرورون

للخلاص منه .. »

هنا صاح (شلبي) وهو يشعل سيجاره متجاهلاً

نظرات المدير و (باركر) النارية ، فالحقيقة هي أن

(شلبي) في وضع يسمح له - سناً ومركزاً - بعمل

ما يشاء دون أن يجروا أحد على لومه .

- « لحظة يا بروفيسور .. إن الأمر كله غامض ..

« أولاً : كيف جرف أهل القبيلة على نقله إلى

المستشفى ؟ المفروض أن سلطة الرجل كاسحة ،

وكراهيته للمستشفيات شديدة .. فكيف سمح لهم بهذا ،

وكيف سمحوا هم لأنفسهم ؟ »

« ثانياً : ما هو تفسير اختفاء الجثة لنجدها في

صندوق بالقبو ؟ »

صاح المدير في ملل وهو يلوح بذراعيه :

- « لا تهمنى التفاصيل .. فقط خلصونى من هذه

الجثة المشنومة .. أبلغوا الشرطة لتسلمها أو

أحرقوها .. لا يهم .. المهم أننى لا أريدها هنا غداً .. »

وغادر المكان قبل أن يرد أحد ..

★ ★ ★

وبعد ساعتين بالضبط نقلوا (موجازا) إلى العناية
المركزة .. كان في غيبوبة عميقة حقاً .. عرفت هذا
في الصباح ..

★ ★ ★

وكيف كان لي كذلك أن أعرف أن (جيديون) قد
أفاق من الغيبوبة بعد ساعتين آخرين ؟

كان أول ما شعرت به الممرضة هو أنه ينن أكثر
من اللازم ، ثم ارتفعت يده إلى الأنبوب الخارج من
فمه فانتزعه مرة واحدة ، وعمد إلى قطعة البلاستيك
التي تمنع الفم من الانغلاق فبصقها ..

ثم نهض كأنما من بين الموتى ، وكأنه (أليعازر)
وقد ناداه السيد المسيح .. صحيح أنه مذهول ..
صحيح أنه لا يعي ما يقول .. لكنه حتى يرزق ..

طلب الماء ، فاحتسى أربعة أكواب كاملة حتى
امتدت يد طبيب العناية يمنع الممرضة من إعطائه
المزيد حتى لا يصاب بتمدد في الأمعاء ..

وتحان أول ما قال واعياً هو :

« الصحراء ! ما أشد حرارتها ! »

وهي هلوسة لا تعنى شيئاً ، لكنها بالنسبة لطبيب

العناية بدت منطقية جداً .. هو ذا رجل يحلم
بالصحراء .. يحلم بها إلى جد أنه صار ظمآن كقطعة
من الإسفنج في بيت رجل لا يستحم ..

كل هذه أشياء تحدث ..

وكلها تحدث ليلاً ..

★ ★ ★

شيء آخر لم أعرفه إلا صباحاً ..

لا تلوموني فأنا لست كلى القدرة شامل المعرفة .. أنا
مجرد بشر لا يرى غير الجدران ولا يسمع .. وينام في
نهاية اليوم منهوكاً مفتوح الفم يصم شخير الأذان ..

كيف لي أن أعرف وقتها أن ثلاثة عمال دخلوا
المشرفة لنقل جثمان الساحر العجوز إلى .. إلى
مكان آخر غير (سافاري) ..

وهنا كان ذعرهم يفوق الوصف حين فتحوا الثلاجة
ليجدوا ألا سحرة هناك .. بالأحرى لا توجد جثث من
أى نوع !

أما الصراخ الشبيه بصراخ الأرامل عندنا في
جنازات أزواجهن ، فهو صراخ الطبيب الكورى
البانس (كيم) ..

هذه المرة كان يعرف أن الساحر بلا مخ ولا قلب
ولا رنتين ولا كبد ، وأنه من المستحيل أن يرحل ..
كما كان يعرف أنه قضى الليل جوار الثلاجة يطالع
جريدة (علم الأمراض) ، ولم يغمض عينيه لحظة
أو يغادر المكان إلا للتبول ، وهذا لم يستغرق سوى
دقيقة ..

كان يصرخ لأن الأمر تجاوز كل منطق ..

كان يصرخ لأنه اصطدم بالمجهول الذي يحدث ليلاً ..

★ ★ ★

وهكذا لكم أن تراهنوا على أن المستشفى تحول
إلى مصحة للأمراض العقلية في الصباح ..
الكل يصرخ ويتشاجر ويتدافع ، والبحث جار في
كل مكان عن جثة ..

وفي مكتبه جلس (بارتلييه) مهموماً تحول وجهه
إلى ما يشبه الجورب المقلوب عندما تنزعه من
قدمك .. وحواله ستة من السادة العلماء لهم هيبة
العلم وخطورته ، وكلهم من ذوى الغلايين والسوالف
المشعثة الكثة الشيباء كالصور التي تراها في أول
مراجع الطب ..

أما أنا فجلست - جلستى الشهيرة - جوار الباب
مستعداً للفرار في أية لحظة ، وهي الجلسة التي
وصفها (بسام) التونسي بأنها (مزجر الكلب) ..
لم أفهم معناها لكنها بدت لي كسبة .. فأفهمني -
بارك الله في ثروته اللغوية .. أن الكلب يدنو من
الطاعمين فيزجرونه .. فيقف وقفة لا هي بالبعيدة
عن الطعام ولا هي بالقريبة من الإيذاء ، وينتظر ..

لا أدرى .. ما زلت أشعر أنها سبة بشكل ما ..

لقد دعاني (بارتلييه) لأنني - كالعادة - في
القصة منذ لحظتها الأولى وحتى هذه اللحظة ، وكان
رأبي للأسف ذا أهمية ..

بصوت خطير مزلزل مجلجل قال (شلبي) :

- « أظن يا سادة أننا متفقون على ظهور وباء
جديد في (سافاري) ، وقد بدأ كل شيء من تلكم
الجثة سريعة البخر .. »

هنا قال أحدهم (وهو أستاذ إيرلندي لا أذكر
اسمه) :

- « د. (شلبي) .. نحن لم نر الحمى المخية تنتقل
بهذه السرعة قط .. ثم إن أحداً ممن هم في غيبوبة

لم يصب بها .. لقد قمت بدراسة أشعة المخ
ورسمه

لكل الضحايا .. ويمكننى أن أؤكد أن هذه ليست
حالات حمى مخية .. »

قال (بارتلييه) وهو يدير القلم بين أصابعه :

- « لا شيء ينقل المرض فى الطب سوى العدوى ..
وما دامت هناك عدوى فهناك كائن - فيروس أو
باكتريا - ينقلها .. علينا أن نجده .. وأنا لا أتحدث
عن الحمى المخية هاهنا .. »

قال (شلبى) وهو يشعل سيجارًا :

- « لحظة .. ثمة نقطة أخرى .. لماذا تصرّ هذه
الجثة على الاختفاء كلما ألقينا القبض عليها ؟ »
قال (بارتلييه) :

- « الجثث لا ترحل لمجرد أنها لا تحبنا .. هناك
من يصرّ على سرقتها ، ولعل أحد العاملين هنا من
قبيلة الساحر ذاتها ، وهو لا يريد أن يمس أحد جثة
ساحرة المقدس .. »

ثم نظر لى حيث جلست (مزجر الكلب) على رأى
(بسام) :

- « (علاء) .. كيف حال (جيديون)
و (جابرييل) ؟ »

نظرت لى ستة أزواج من العيون المرتابة ،
فابتلعت ريقى وقلت فى شيء من الحرج :

- « بخير يا سيدى .. مازالا فى ارتباك واضطراب
فكر لكنهما بخير .. ويبدو أن بوسعهما مغادرة
الفراش غدًا .. »

- « والألماني ؟ »

- « (هانس) فى غيبوبة عميقة ، وقد أصيب
بالتهاب رئوى حادّ جعل حياته فى خطر داهم .. »
- « و .. وذلك العامل ؟ »

- « (موجازا) ؟ لم يُشف بعد .. »

وللجالسين حكى (بارتلييه) دورى فى القصة ،
منذ جاء الساحر مقيدًا إلى الوحدة ، وحتى عملية
تشريحه أمس .. ثم قال :

- « والآن .. أعتقد أن خير ما يمكن عمله هو
إيفاد د. (عبد العظيم) إلى تلك القبيلة ، ليفهم حقيقة
ما نحن بصدده .. »

ابتلعت ريقى من جديد ..

- « إذن استعد يا (علاء) لزيارة تلك القرية
غداً .. ولكنك تحتاج إلى مترجم .. خذ .. خذ
معك .. أ »

من غير (بودرجا) المسكين ؟
لقد رأيت هذا الفيلم مرة أو أكثر من قبل !

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

لم لا ؟ تبدو فكرة لا بأس بها أبداً .. إننى بحاجة
إلى تغيير روتين حياتى الممل هاهنا .. وآخر حملة
قمت بها هى التى كدت أؤكل فيها عند (الكويو) ..
رباه ! لم يكن هذا هو التغيير الذى طلبت ..
قال (آرثر شلبى) :

- « هذا هو الرأى القويم .. ويمكننا معرفة آخر
من رأهم الساحر وهل أصيبوا بداء من ذات النوع ؟ »
وقال طبيب آخر مؤمناً :

- « المسح .. هذا هو الحل الصائب .. لكن هل
يقدر هذا الشاب على مهمة كهذه ؟ ما أحسبها
إلا تتطلب فريقاً ؟ »

فى خبث كدأبه قال (شلبى) :

- « إن الصبى جرىء نشط .. ويمكن اعتبار
رحلته الأولى كشفية يليها إرسال فريق كامل مُجهز .. »
هكذا ورطنى وكنت أتوق بحق إلى الصحبة ، لكن
الأمر راق لـ (بارتلييه) الذى وجدها فرصة لتخفيض
النفقات ..

قال بلهجة من لا يقبل نقاشاً :

٧ - سحر (مولوك) ..

أشياء تحدث ليلاً ..

لكن حملتنا بدأت في ضوء النهار ، حيث بدا أن الأمور لن تكون سيئة أبداً .. فالسيئ غالباً ما يحدث ليلاً ..

★ ★ ★

والآن تعال معنا ولتعش تلك اللحظات :

سيارة (اللاندروفر) الخاصة بـ (سافاري) تشق طريقها تحت لهيب الشمس متجهة إلى قرية الساحر ، والتي وجدناها في سجلات المريض ..

وعلى الجانبين يقف الفلاحون يرمقوننا ، بعضهم دس كفيه في حمالتي فانلته الداخلية وتصلب بانتظار معرفة من نحن وأين نحن .. عربات يتم تحميلها بالفاكهة ، وعربات امتلأت بالعمال الأفارقة كلهم ينظرون لنا في حيرة ..

إن شعار (سافاري) المرسوم على سياراتها

غريب دائماً .. فهو لا يدل على الصليب الأحمر ولا على الأمم المتحدة ولا على الحكومة .. ولم تكن القرية بعيدة .. وقد وصلنا هناك بعد ساعة ونصف ..

★ ★ ★

التف أطفال فضوليون حول العربة ، فسألهم (بودرجا) عن زعيم القرية .. ولم تمر لحظات حتى كنا جالسين في دار من الطين ، أمام رجل بدين أصلع الرأس لا يكف عن التهام الموز والكلام ..

بدأ (بودرجا) يحكى له القصة كلها ، والزعيم يصغى وعيناه تجحطان اهتماماً ورعباً وكأته يوافق على كل حرف ، وعنده فكرة عن كل ما يقال هاهنا .. في النهاية راح يتكلم بلا توقف بصوت غليظ بدين بدوره ..

قال (بودرجا) متابعاً كلمات الزعيم :

- « يقول الزعيم (موبوكا) إن ساحر القبيلة قد جن ، وإن الأرواح الشريرة قد سيطرت عليه .. إن هؤلاء القوم يؤمنون بالطب ويعرفون أنه يصنع معجزات كثيرة .. إن الجروح تشفى برغم أن

الساحر قرأ عليها أدعية كثيرة لكنه فشل .. الأطفال
المحمومون ينجح الطب في إعادتهم للصحة بينما
ينجح الساحر في قتلهم .. لهذا خطر لهم أن ينقلوا
الساحر إلى (سافارى) عسانا نجد علاجاً له هناك ..
وبالطبع كان من المستحيل إقناعه بأن يخضع لسحر
الرجل الأبيض ، لذا قيدوه بالحبال وحملوه حملاً إلى
هناك بعربة الإسعاف .. »

سألت (بودرجا) وأنا أتأمل الزعيم :

- « لماذا لم يأت أحد ليطالب بجثته ؟ »

أصغى الزعيم إلى السؤال المترجم هنيهة ، ثم
ضحك بصوته الغليظ ولم يعلق .. وهو صمت له أكثر
من معنى ..

عدت أسأل :

- « هل تعرض لعضة ما قبل إصابته بالمرض ؟ »

الجواب : لا .. ولو تعرض فلن يخبر أحداً بل

سيعالج نفسه بنفسه ..

- « هل لديهم فكرة عما يحدث في (سافارى) ؟ »

تكلم الزعيم كثيراً جداً رداً على هذا السؤال الأخير ..

ووجدت أن (بودرجا) كف عن الترجمة فاستحثته

بكفى كي يتذكرنى ..

قال (بودرجا) وهو يحفر الأرض - حيث جلسنا -
بسبابته :

- « يقول إنه يعرف بوجود متاعب .. فالساحر
كان شيطاناً حقيقياً ولا بد أنه استنزل لعناته على
(سافارى) .. فهو كان ساخطاً عليها منذ البداية .. »
« يقول لنا أن نأخذ الحذر لأن (مولوك) .. وهو
اسم الرجل - لا يموت .. بل ينتقل ليحل في جسد آخر
و .. »

أطلقت تنهيدة ملل ونظرت في اتجاه آخر :

- « آه ! هل عدنا لهذا الكلام الممل ؟ »

طقطق (بودرجا) بلسانه منذراً ، وقال :

- « لا تظهر الامتعاض يا دكتور وإلا فمن الخير

أن تظل في دارك .. إن هذه الخرافات تمثل لهؤلاء

القوم دينهم ، ولا أحد يقبل أن يسخر غريب من

دينه .. »

بدا لى الكلام حكيمًا ، فتمالكت أعصابى وسألته :

- « ليكن .. ومن أدرهم أنه لا يموت ؟ »

- « عيناه .. يقول إن (مولوك) قد يحل في أى

جسد وبأى مظهر ، لكن العينين تقولان دوماً إنه هو .. »

- « فهمت .. كمن يتنكر في ثياب أنثى ويضع
مساحيقها ، لكن شاربه يظل كئيباً واضحاً للعيان .. »
- « ويقول إن ما نتحدث عنه كجثة (مولوك)
ليس سوى وعاء انتهى نفعه .. »
- « جميل .. سله إذن عن اختفاء الجثة
المتكررة .. »

وجه (بودرجا) سؤالاً أو سؤالين سريعين ، ثم
قال لي :

- « يقول إنه لا يعلم .. لكنه لا يستبعد أن يكون
(مولوك) طليقاً الآن في (سافاري) يجول مفتوح
البطن ! »

- « ومن دون مخ ولا كبد ! »

وارتعدت للفكرة ..

لكني ارتعدت أكثر حين تصورت أنني أقول هذا
الكلام الفارغ للبروفسور (بارتلييه) عند عودتي ..
ماذا وجدتم يا (علاء) ؟ وجدنا أن (مولوك) يتمتع
بقوى سحرية هائلة يا سيدي ..

كان هذا فوق احتمال أي شخص حتى لو كان
(بارتلييه) ..

ونظرت للزعيم ، وأدركت أننا لن نحصل منه على
المزيد .. قلت لـ (بودرجا) أن يشكره ويعدده بعودتنا
لمزيد من التفاصيل ..

هنا مدّ الزعيم يده إلى عنقه ، وانتزع قلادة في
طرفها ما يشبه سلة مجدولة من الخوص ، وقال
أشياء ..

هزرت رأسي بمعنى أنني لا أستطيع قبول هدية
كهذه ، وأتني زاهد فيها كل الزهد ، لكن الرجل أصرَّ
وأسناته تلتصق في ضوء الشمس .. وقال لـ (بودرجا)
ما عرفت معناه فيما بعد :

- « لقد كانت تحميني من (مولوك) حين كان
بيننا .. اليوم أنتم أحوج إليها مني .. »

وأشار لي كي أطوق بها عنقي ففعلت ..

كانت خشنة لها ملمس غير مريح ، ومن السلة
الصغيرة سمعت صوت خرفشة من النوع الذي يؤدي
مسمك .. صوت يحطم الأعصاب ، كصوت الـ (فوم)
الإسفنجي الذي يغلفون به الأجهزة الكهربائية حين
تحتك قطعان جوار أذنك .. هل تعرف هذا الشعور ؟

الحق أنني لم أحب هذه القلادة لحظة .. لكنني
ابتلعت فكرة وجودها ..

وفيما بعد عرفت أن الزعيم قال لـ (بودرجا) وهو
لا ينظر إلى :

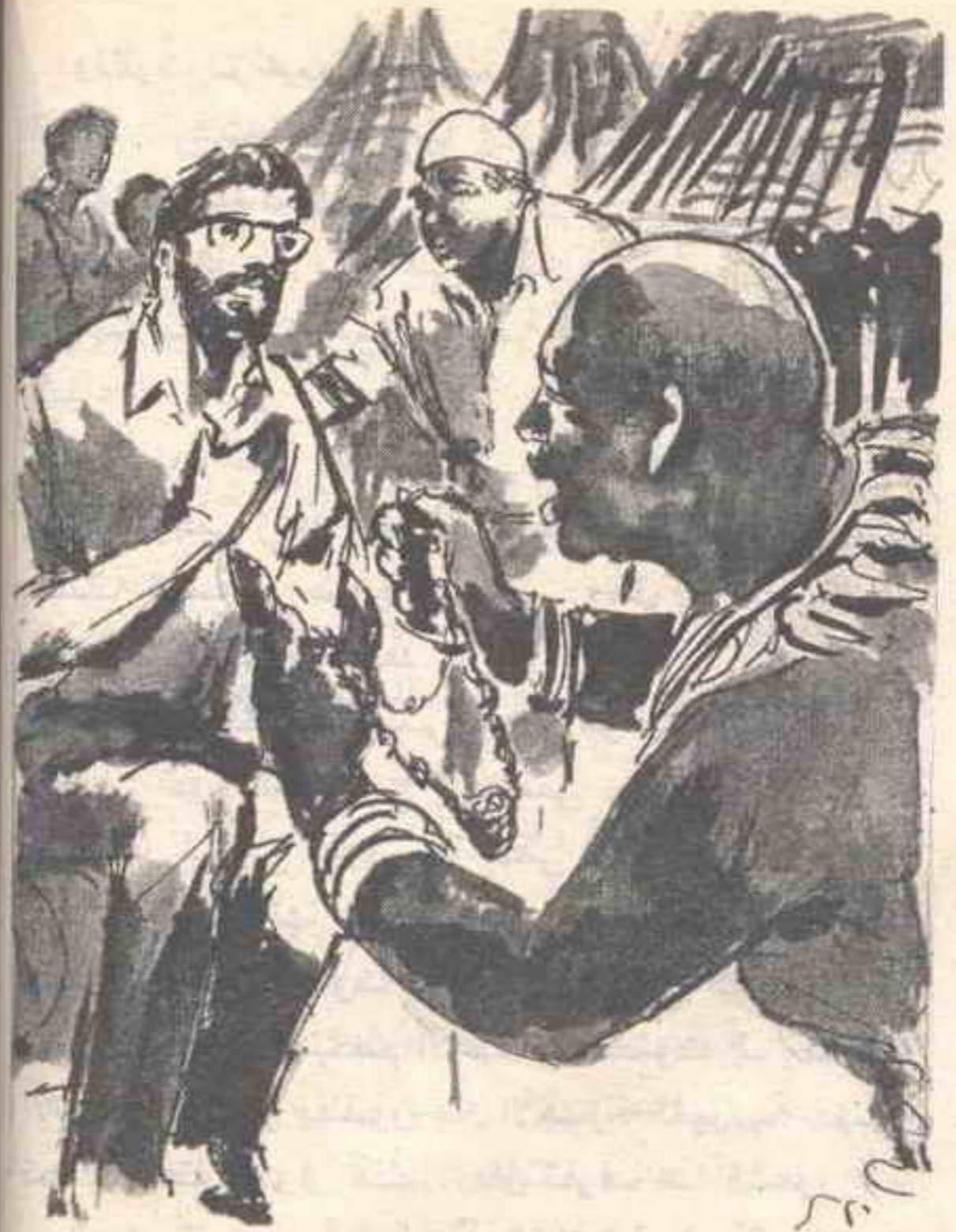
- « خذ الحذر مع زميلك هذا وراقبه حسنا .. لقد
بدأ (الوسم) يظهر على وجهه ! »

★ ★ ★

لكن (بودرجا) لم يخبرني بشيء ..
حتى في طريق العودة الطويل لم يقل شيئا ..
فقط حين مددت يدي إلى القلادة البغيضة أنزعها
من حول عنقي ، وأوشك أن ألقها بعيدا ؛ عندها مذ
(بودرجا) يده يمنعي .. ولما رأى علامات الدهشة
على وجهي قال :

- « اتركها يا دكتور .. نحن لا نعلم الكثير عن
أساليب هؤلاء القوم .. »

نظرت له ثم للقلادة .. أنا لم أرتد شيئا كهذا منذ
نجاحي في الشهادة الابتدائية وإصابتي بالحمى
بعدها .. لقد أرغمتني أمي على ارتداء حجاب حول
عنقي لمدة شهرين ، ولكم من سخریات تلقيت من
زملائي حين كنت أخرج بالحجاب إلى السوق .. إلى
الشارع لألعب الكرة .. إلى ديار جيرانا .. ويوم



هنا مدّ الزعيم يده إلى عنقه ، وانتزع قلادة في طرفها ما يشبه
سلة مجدولة من الخوص ..

لكن الصوت ضايقتى ..
صوت الخرفشة الذى حدثتك عنه .. أحياتا هو
صوت قطعى (قوم) تحتك ، وأحياتا هو صوت
ربطة ثوم بدأت أمى فى تقشيرها من أجل الملوخية ..
المهم أنه صوت خافت .. بشع .. قمىء ..
وتحسست القلادة على صدرى فى الظلام ،
وهمست بصوت مسموع :
- « ثمة شىء حى بداخل هذه ! أقسم بالله إن
شيئا حيا بداخل هذه ! »

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

تخلصت منه - أخيرا - عرفت فائدة العلم .. مع العلم
لا يستطيع أحد أن يرغبك على ارتداء حجاب
أو تعويذة .. لكن ها هو ذا الموقف يتكرر ..
والغريب هنا أننى غير قادر على اتخاذ القرار
الحاسم ..

وفى خزى تركت القلادة تتدلى من عنقى ، وإن
داريتها خلف القميص كى لا يشعر بها أحد ..

★ ★ ★

قدمت تقريرى الرديء إلى المدير ، ولا داعى لأن
أقول إنه راح يضرب كفا بكف .. فى النهاية فتح الدرج
وأغلقه ، وهى حركة عصبية خاصة به معناها أنه يتمنى
فتح بطنى وإخراج أحشائى .. ثم قال وهو يلهث :
- « هل لديك ما تضيفه ؟ »

- « لا يا سيدى .. »

- « إذن اذهب ونم .. وفى الصباح حاول أن
تقتنعنى أكثر .. »

وهكذا فارقتة .. كان الإنهاك يغمر جسدى ، وأدركت
أننى سأنام كجثة فى قبو مظلم ؛ ولم أكذب خيرا ..

★ ★ ★

٨ - استحواذ !!

أشياء تحدث ليلاً ..

تما قلنا مراراً : هناك أشياء وأشياء .. لكن
الأشياء التي تحدث ليلاً تكون خافتة أو مريية أو لها
صوت كالحفيف ..

أشياء تحدث ليلاً ..

وهكذا يمكننا فهم ما حدث :

لقد غادرت الغرفة شاعراً بالاختناق والحيرة ، وفي
ذهنى خاطر واحد ما من شيء سواه ؛ هو أن أتخلص
من هذه القلادة .. لا تسينوا فهمى .. أنا لم أعتقد
فيها لحظة لكن السحر عامة يبعث في النفس شعوراً
من عدم الارتياح وربما التقرز .. حتى لو كنت تؤمن
بأنه هراء ..

كان الظلام يغمر الممر الذي يضمّ غرف الأطباء ..

المقيم منهم ومن يسمونه (طبيب الدار) وهو
ما نسميه نحن بطبيب الامتياز ..

في نهاية الممر نافذة .. صحيح أنها مغطاة بالسلك
الواقى لمنع البعوض من قتلنا بالملاريا ، لكنها تصلح
لأرى الليل منها وأشم هواءه النقي البكر .. وعند
قدمي سلة مهملات تصلح تداماً للتخلص من ..
صوت خطوات ..

ونظرت إلى الوراء ..

كان يمشى في الممر عائداً إلى غرفته ، وظهره
لي ..

محنى القامة ينظر لقدميه .. لكنى أرى بقعتى
الضوء تفترشان الأرض أمامه .. ما مصدر هذا
الضوء ؟

مصدره كشافان بالتأكيد .. لكن أين هما ؟

يمكن - بشيء من الخيال - أن أقول إن الضوء
يخرج من عينيه ؛ إذن لماذا لا أخاف وأصرخ ؟

لأن الضوء لا يخرج من عيون الناس أبداً ؛
ولأن (ابن الهيثم) برهن على ذلك من عهد طويل ،

حين كان العلماء يحسبون العين تطلق شعاعاً ترى
به الأشياء ..

وفي كياسة ناديته بصوت رفيق :

- « أ .. د . (جابرييل) .. »

هنا انطفأ النور كأنما ضغط على الزر .. وسمعته

يقول في الظلام :

- « من ؟ »

- « هذا أنا .. (علاء) .. هل تشكو من أرق ؟ »

التفت لى .. ثم بدأ يتجه نحوى ببطء ووجهه فى

اللون الأسود الكثيف :

- « كلا .. لقد انتهيت الآن فقط من ال »

يدنو أكثر .. ولا أشعر براحة كثيرة إزاء مشيته

المتصلية :

- « .. مرور بالعنابر .. إن هذه الحالات لم »

و (جابرييل) عادة متردد قلق كثير انحرمة .. هذا

الثبات غير معهود فيه ..

- « يرها أحد منذ أن أصبت بالغيب »

وهنا وصلت إلى قرارى سريعاً :

هذا القادم ليس (جابرييل) !

★ ★ ★

كانت عيناه جاحظتين نافذتين ..

لم أعهد قط هاتين العينين فى (جابرييل) ..

وعلى الفور تذكرت أين رأيت هاتين العينين من

قبل ..

★ ★ ★

وحين ضحك كان الشيطان نفسه يضحك ،

والأسنان اللامعة البيضاء تبدو كأنياب فى الظلام ..

صوته قد اختلف كثيراً وأسلوبه :

- « إنك فى طريقى دائماً أيها الشاب الصغير .. »

وكنت أنا فى وضع مقلق بحق .. ظهري للنافذة

ووقفى متحفزة ملأى بالتوتر .. لا أستطيع التراجع

أكثر ..

رباه ! شىء ما يقول إننى لن أستطيع قهره لو

ضربته ..

إنه أقوى منى بالتأكيد ..

★ ★ ★

لكن العينين توقفتا لحظة عند صدرى ..

عند موضع القلادة ..

الوجه الأسود يكفهر ويكشر عن أنيابه أكثر ..

أقسم إنه أطلق فحيحًا من فمه شأن مصاصي
الدماء في أفلام (هامر) حين يرون ضوء
النهار ..

وفي اللحظة التالية حدث شيء لا يُصدق ..

ببساطة تراخي كتفاه ، وكف جسده عن التوتر ،
وزال التعبير المريع الجشع عن وجهه ..

ودون كلمة أخرى استدار متجهًا لغرفته ..

هذه هي مشية (جابرييل) الذي أعرفه ..

ولكم أن تراهنوا على أنني لم أستطع النوم لحظة
طيلة ما بقى من الليلة ..

وحين تسلل شعاع النهار الأول من النافذة لم أشعر
قط من قبل أن غرفتي بهذا الجمال وفراشي بهذه
الراحة .. لقد بردت الجدران أخيرًا وغدا كل شيء
معدًا لنوم هادئ حتى الظهر ..

لكن - للأسف - هذا هو موعد الاستيقاظ ..

واتجهت إلى الكافتريا متثاقلاً أجر قدمي ، وسمعت

(برنات) تقول (هاي) وتكور أنفها - لم أر هذا
لكني سمعته - فلوحت بكفى في الهواء ، وجلست إلى
المائدة مرهقًا مضعضعًا ..

قال لي (بيير) وهو يتخذ مقعده جوارى :

- « هل بلغك ما حدث أمس ؟ »

- « (جيديون) قد أفاق من الغيبوبة .. إذن لا بد

أن (هانس) قد

- « بالضبط .. لقد أفاق أمس .. »

- « وماذا عن عامل الكهرباء إياه ؟ »

- « مازال في غيبوبة .. لكن الأمور تدعو للتفاؤل

كما ترى .. »

نظرت له مليًا .. وفكرت في أن أزور (جيديون)

الآن ..

وكان (جيديون) قد عاد لممارسة عمله ..

طبيب (الباثولوجيا) اليهودي العجوز لم يعتد أن

يمرض .. وأنا لم أحبه قط لكنني كنت أحترم علمه

ومثابرتة برغم كل شيء ..

كان فى المعمل الملحق بالمشرفة مع (كيم)
عاكفاً على فحص بعض الشرائح تحت المجهر ،
وجواره طبيب ألمائى شاب يدون فى نهم ما يقوله
الرجل ..

هنأته على سلامته فابتسم ابتسامة جانبية باهتة ،
وواصل ما يقوم به .. سألته عن تفسيره لما حدث
فبدا ممتعضاً .. هذه أمور خصوصية لا يحق لى
الكلام عنها .. ثم إنه لا يملك تفسيراً طبعاً ..
وجلست صامتاً أتأمل مايقومون به .. ثم رفعت
عيني فجأة ..

كان (جيديون) ينظر إلى نظرة ثابتة وقحة بعينين
لا تطرفان ..
هاتان العينان ! إننى أراهما أكثر من اللازم فى هذه
الأيام ..

مددت يدي إلى صدرى وأخرجت القلادة ..
تحسستها بأناملى ، ورفعت عيني بحذر نحوه ..
أدركت على الفور أن الأمر كما توقعت ..
لقد كان يرمقها بأشمنزاز ومقت شديدين ، وبدا أنه
يقاوم رغبة جامحة فى الفرار لكنه لا يجرو ..

العينان عينا (جابرييل) .. والنظرة نظرتة حين
رأى القلادة ..

لم يعد فهم ما يحدث عسيراً ..

دوى الصراخ فى الطابق كله ، فغادر من كان
موجوداً من الأطباء غرفته ليرى ما هناك .. وعلى
أبواب الغرف تبادل الجميع نظرات الحيرة والتساؤل
المعترف بها دولياً ..
ثم اندفع الجميع نحو غرف الطبيبات حيث دوت
الصرخة ..

والحكاية حكاية تافهة جداً .. لقد وجدت الدكتورة
(ماى - فاي - لين) الصينية رجلاً فى غرفتها .. إن
هذه الأشياء تحدث .. وجدته فى خزانة الثياب ..
لا بأس .. لقد سمعنا عما هو أسوأ .. لم يكن رجلاً
فحسب بل كان رجلاً ميتاً .. هذا شيء معتاد .. لكنه
- بالإضافة إلى ذلك - بلا مخ ولا كبد ولا رنتين ..
هنا بدا لى الأمر مألوفاً ..

قليلة هى الجثث التى تمشى مفتوحة البطن بلا
أحشاء ..

مددوا الوغد على الأرض فوق ملاءة ، وغطوه
بملاءة أخرى من غرفة الطبيب الصينية المذعورة
التي راحت تتحدث بلغتها الشبيهة بدقات الأجراس ،
ومن فمها خرجت مئات النقوش الصينية المعقدة
المرسومة بالحبر الشينى ..

جاء المدير أخيراً يهز جسده الشحيم ، فتوقف أمام
الجثة وتأملها .. ثم صاح :

- « لا أريد هذا الوغد ثانية أخرى هاهنا .. خذوه
إلى أى مكان بعيداً عنى .. »
هتف د. (باركر) :

- « لكن لا بد من وجود بصمات .. هناك من
سرق الجثة وأخفاها ، ثم جرّها جرّاً إلى هنا .. لا بد
من بصمات على الباب .. إلخ .. »

نظر له (بارتلييه) ملياً ، وقال ضاغطاً على
كلماته :

- « ولكن أين أخفاها من أخفاها ؟ إن رجالى لم
يتركوا حجراً فوق حجر فى (سافارى) كلها .. إن
الأمر يتجاوز المنطق العلمى يا شباب .. كفى عن
الصراخ من فضلك ! »

كذا صاح فى (ماى - فاى - لين) غاضباً .. فقد
أوشكت على تحطيم أعصابنا جميعاً .. كل هذه
الضوضاء من أجل جثة بلا أحشاء فى غرفتها ؟
ماذا تفعل إذن لو وجدت فأراً ؟

كان ثلاثة عمال عاكفين الآن على نقل الجثة إلى
حيث ألفت ، حين دنوت من البروفسور المحقق
لأسأله :

- « هل وجدتم فيروس الكلب يا سيدى ؟ »
- « لم نجد أى شىء لعين .. إن هذا الوغد لم
يمت بالحمى المخية بكل تأكيد .. تسأل عن تفسير ؟
لا أدرى تفسيراً .. إن هذه الوحدة قد ذهبت إلى
الشیطان بكل من فيها ولم يعد إتقادها سهلاً .. »
عدت أسأله فى إصرار :

- « هل ؟ »
أدار ظهره لى بطريقة مهينة ، معلناً أن وقت
الأسئلة قد انتهى .. وهكذا لم أر ما أفعله سوى أن
أعود إلى حجرتى ..

كان الوقت عصراً والحرّ خانقاً .. حتى بدأ العرق
يتساقط من حاجبى ويحرق عيني .. العرق واللعنات

على إدارة (سافارى) البخيلة التى لم تقم بتركيب
أجهزة تكييف فى حجراتنا ، باعتبار هذا ترفا يتحمل
الطبيب نفقته من حسابه الخاص ..
سمعت قرعات على الباب ففتحته ..
كان القادم هو د. (جابرييل) .

★ ★ ★

٩ - أنقذوهم من (مولوك) ..

أشياء تحدث ليلاً ..
ثمة أشياء وأشياء .. لكن لكل قاعدة استثناء ،
والاستثناء هنا هو أن تحدث أشياء مرعبة عصرًا ..

★ ★ ★

والآن خذ عندك المثال التالى :
ما إن رأيت (جابرييل) حتى تراجعت إلى الوراء
متحفزًا ، ومددت يدي إلى صدرى لأرفع القلادة فى
متناول بصره ..
لم يبد عليه أدنى تغيير .. وحين تأملت عينيه جيدًا ،
أدركت أنه الآن (جابرييل) وليس الآخر .. تنهدت
وتراجعت للوراء ..

قال لى وهو يخطو إلى الداخل :
- « لا تخف .. أنت لم تشعر بالشىء يتحرك بها ..
ومعناه أننى لست (هو) ! »
جلست على طرف الفراش ، وبإصبعى مسحت

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

العرق عن جبينى فاتهمر كصنبور الماء ، وقلت :

- « تبدو لى على علم بما يحدث .. هل تعنى أن الصوت البشع إياه يعنى أن القلادة تعمل ؟ »

- « بالتأكيد .. إنه كصوت عذاد (جايجر) عندما يجد بعض (اليوراتيوم) .. »

- « لكنها - القلادة - لم تكفّ عن الخرفشة وهى على صدرى .. »

- « كانت تعمل كذلك .. وقد شعرت بأن جزءاً منك يتحول إلى (مولوك) لهذا راحت تمارس عملها معك حتى طهرتك ! »

غطيت وجهى بكفى منهاك :

- « د. (جابرييل) .. لا تنس أننا نتكلم عن خرافات .. »

- « يا بنى نحن فى (إفريقيا) حيث يصعب العثور على الخطّ الفاصل ما بين الخرافة والحقيقة .. من يدري ؟ ربما نحن لم نتجاوزه بعد .. وربما كانت هناك حقيقة تقول إن (مولوك) يملك قدرة على الاستحواذ الشيطانى .. وربما هناك حقيقة تقول إن هذه القلادة تمنع سيطرة (مولوك) .. »



ما إن رأيت (جابرييل) حتى تراجعت إلى الورا متحفزاً ،
ومددت يدي إلى صدرى لأرفع القلادة فى متناول بصره ..

- « ومن أدراك بكل هذا ؟ »

ابتلع ريقه وتحاشى نظراتي ، وغمغم :

- « أنت تعرف جيدًا أنني تحت الاستحواذ الآن ..
وفي أية لحظة سيكون هو المسيطر على كلامي
ونظراتي .. »

قلت له وأنا أسترخى للوراء :

- « دعنا نرتب أفكارنا .. لماذا لم يستحوذ

(مولوك) على كل من تعاملوا معه ؟ »

- « إنهم لم يلقوا بالأل إلى عينيه .. أعنى كل من

لم يتأثروا به .. كل من صاروا في قبضة (مولوك)

لاحظوا عينيه القويتين وتأثروا بها أكثر مما يجب .. »

- « هذا حق .. (هانس) وأنا وأنت و (جيديون)

وبالتأكيد (موجازا) .. كلهم تأثر بالعين وأطال النظر

لها .. »

أكمل كلامي وقد صرنا على نغمة واحدة :

- « كان (مولوك) حين شعر بدنو نهايته ؛ أرمع

أن يوجد خمسة منه بعد وفاته .. »

قلت أنا ملتقطًا الخيط :

- « و (مولوك) نفسه ليس هو الأصلي .. إنه

آخر وعاء اختاره الساحر الشيطاني الذي عاش منذ
عدة قرون وكانت له العينان ذاتهما .. ولكني لا أفهم
سر رغبة (مولوك) في إيجاد آخرين مثله .. »

حك شعره الرمادي المجعد ، ومسح قطرات العرق :

- « هذه هي فطرة الشر الطبيعية : أن ينتشر ..

أن يملأ الأرض .. ثم هي كذلك غريزة كل كائن حي :

أن يغدو اثنين أو ثلاثة أو أكثر .. »

سألته وأنا أتحسس القلادة :

- « وما هي الخطوة التالية ؟ ماذا سيفعل كل

هؤلاء الـ (مولوكات) ؟ »

نهض وأولاني ظهره كأنما يجد عسراً في الكلام ،

وهمس :

- « أحياناً .. حين تتملكني الرغبة الشيطانية ..

أشعر بأنني أريد أن أرى الدمار في كل صوب ..

أشوه كل وجه جميل .. أنتزع كل زهرة .. أنتثر الدمع

في عيون الأطفال .. أرى لون الدماء الأحمر يعم

الكون ليمحو خضرة المرج وزرقة السماء .. أريد أن

أسمع من يتوسل لي طالباً الرحمة ، عالمًا ألا جدوى

هنالك وأتني سأقتله ! »

- « يا للهول ! »

(وهذا ما كنت فى الممر أمس تحاول عمله) ..
قلتها فى سرى ولم أعلنها .. وارتجفت حين تخيلت
ما كان سيحدث لو لم تكن القلادة معى ..
أخيراً سألته وأنا أجفف عرقى بمنشفة :

- « لكن يبقى سؤال واحد : ماذا سنفعله .. »

تناول المنشفة منى ليجفف عرقه (اللعنة ! عادة غير
صحية .. لقد حان وقت غسل هذه المنشفة إذن) ..
وقال :

- « أنا لم أتطهر بعد .. لكننا نعرف أنك تطهرت ..
لهذا حان دورى فى ارتداء القلادة بعض الوقت ..
وبعد هذا يجىء دور (جيديون) فالباقين .. »
لم أر ما يمنع .. فمن حقه أن يضمن النجاة مثلى ..
إن هذه القلادة لقادرة وأنا جربت بنفسى ما هى
مستطاعة عمله .. كل هذا يبدو سخيفاً لكننى مضطر
إلى مجاراة هذا السخف ..

ناولته القلادة فأحاط بها عنقه الأسود شاكراً ، ثم
نهض ..

سألته وهو يفتح الباب :

- « كم من الوقت تظن أنك ستحتاج إليها ؟ »

مط شفته السفلى أن لا يدري :

- « ربما ليوم أو يومين .. لا تشغل بالك ..
سأشعر بتحسن أكيد .. »

وفجأة - ومن حيث لا أتوقع - جحظت عيناه
كالمجاتين ، وسمعت الصوت الذى سمعته أمس :
- « هاهاها ! أحمق ككل من فى سنك أيها
الشاب !! »

نهضت كالمسوع نحوه ، ولاحظت أن صوت
الخرفشة راح يتعالى ..

لكنه كان قد انتزع القلادة من عنقه ، وفى يده
اليمنى قداحة مشتعلة .. اللهب .. اللهب يدنو من
القلادة المصنوعة من قش مجدول ..

رباه ! لقد احترق القش بسرعة جهنمية ..
وهنا عرفت سر الخرفشة الذى أرقنى .. وتأوهت
بصوت مسموع ..

كانت هناك خنفسة عملاقة تثب فى الهواء ، وقد
اشتعلت النار فى جسدها وعلى الأرض سقطت ترفرف
بجناحيها ..

لقد نمت وهذا الشيء على صدري !
راحت تتلوى والدخان يتصاعد منها ، ثم انقلبت
على ظهرها وهمدت نهائياً .. وأفعم الدخان الأسود
الغرفة ..

وأفقت من زعري على صوت (جابرييل) الغليظ
يقول وهو يتوارى :

- « إلى الليل أيها الساذج الصغير ! »

★ ★ ★

يا حمقى العالم .. اتحدوا !

★ ★ ★

كانت أكبر خنفسة رأيتها في حياتي ..
لم أكن خبيراً في موديلات الخنافس ، لكنني في
(سافاري) حيث يوجد من هو خبير في أمور كهذه ..
لم تكن تفحمت كلها لذا لفتتها في منديل ورقي بحذر ،
ثم نهضت .. سيكون لدى وقت كاف فيما بعد كي ألوم
نفسى على حماقتى وغبائى واندفاعى .. أما الآن
فعلى معرفة كنه هذه الخنفسة ..
غادرت غرفتى بعد ما ارتديت ثيابى ..

واتجهت إلى معمل الطفيليات الخاص بـ (سافاري) ؛
حيث الدكتورة (هيلين ماكنلى) .. عالمة الطفيليات
الاسكتلندية ذات الروح المرحة والوجه الطفولى
العذب ..

كنت أعرف أننى سأجدها لأنها السادسة مساء ..
وهى فى المعمل دائماً فى وقت كهذا لأنها - على غير
عادة البشر - لا تنام عصراً حتى لو لم تكن مرتبطة
بعمل ..

وكانت هناك فعلاً عاكفة على دراسة مسحة من
الطحال امتلأت بطفيل (ليشماتيا) اللعين ..

دون كلمة تقديم وضعت أمامها المنديل ، وفتحته
كى أريها ما به .. ثم وجهت سؤالى : ما هو نوع
هذه الخنفسة ؟

ضحكت ضحكتها الطفولية ، ووضعت عيوناتها
وهى تقول :

- « يا له من حماس علمى ! اسمع يا (علاء) ..
لست خبيرة فى علم الحشرات كما تظن .. أنا فقط
خبيرة فى الحشرات المتطفلة .. ولكن .. دعنا نر هذه
الحسنة جيداً .. »

وتحسست أجزاء فمها بظفرها .. وقلبت الجناح ..
ثم قالت :

- « غمدية الأجنحة .. لا جدال في أنها خنفسة ..
ولكن .. إنها من رتبة (أديفاجا) .. أي الخنافس
آكلة اللحوم .. واضح هنا أنها تشبه .. »

ورفعت إصبعاً محذراً كي لا أسيء فهمها :

- « أقول تشبه خنفسة النمر (سيسندلا كامبتريس) ..

هذا لا يعنى أنها هي »

- « هل تزار كالنمر مثلاً ؟ »

ضحكت حتى دمعت عيناها ، وقالت :

- « لا .. بحق السماء لا .. إن سرعة حركتها

وفكوكها المسنونة هي ما أوحى بهذا الاسم .. وهي

تدفن يرقاتها في الرمال بحيث تظل رءوسها خارج

الرمل .. ويسهل عليها بهذا أن تلتهم أية حشرة

غافلة تمشى فوقها .. ولكن .. ولكن لماذا أحرقت

هذه الحشرة الجميلة يا (علاء) ؟ »

ناولتها ورقة وقلماً وسألتها أن تكتب الاسم اللاتيني

المعقد لهذه الحشرة .. إن رطانة العلماء تثير غيظي ..

حشرة بريئة لا ذنب لها كهذه سرعان ما يحكم عليها

بأن تتحول إلى (سيسندلا كامبتريس) طيلة حياتها
دون ذنب جنته ..

شكرتها وأنا أنصرف ، وقلت :

- « بالمناسبة .. أنا لم أحرقها .. الشيطان فعل .. »

ضحكت من جديد ، وهتفت :

- « كذا يقول ابني حين أسأله عن سبب كسر

المزهريه .. »

لكني لم أكذب لحظة فيما قلت ..

★ ★ ★

إن الليل يدنو سريعاً ها هنا

★ ★ ★

- « سيدى .. إنها آخر فرصة لنا .. يجب اعتقال

(جابرييل) و (جيديون) و (هانس) حالاً ! »

وكالعادة احتقن وجه المدير ..

صحت أعزز طلبى :

- « صدقتى .. أنا لا أطلب هذا للتسلية .. بل

لأنهم خطر داهم .. إنهم ممسوسون يا سيدى ..

ممسوسون .. »

١٠ - مقالة عن الذعر المبهم ..

أشياء تحدث ليلاً ..
حقاً هناك أشياء رهيبة تحدث نهاراً .. لكن خير
الأشياء الرهيبة هو ما يحدث ليلاً ..

ها هو ذا موقف آخر يريك ما أعنيه ..
المدير يصغى إلى قصتي باهتمام .. من الواضح
أنها كلام فارغ .. لكنه كلام فارغ شديد التعقيد إلى
درجة تجعل نفيه عسيراً بعض الشيء .. أخيراً تنهد ،
وضغط على زرّ (الدكتافون) :

- « أرسلني في طلب (جابرييل) وبروفسور
(جيديون) و ... » .
ورفع رأسه يسألني :
- « ومن ؟ - »

- « و (هانس) الألماني .. وربما (موجازا) لو
أفاق من الغيبوبة .. »
« و (هانس) .. »

وارداد وجه المدير احتقانا كالظماطم .. سينفجر حالاً
ليلوث المكان كله بالدماء .. أخيراً استطاع الكلام :
- « د . (عبد العظيم) ! هل تمزح !؟ »
- « لا يا سيدي .. لكن دعني أحك كل شيء .. »
وظللت أتكلم حتى التاسعة مساءً ..

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

ثم أغلق الجهاز ، وعقد أصابعه تحت ذقنه
الشحمية كأنما يفكر في الخطوة التالية .. وسمعنا
صوت مكبر الصوت يتردد ..

بعد دقائق جاء صوت السكرتيرة من جهاز
(الدكتافون) :

- « لا أثر لهم في (سافاري) يا سيدي .. يبدو
أنهم غادروا الوحدة ! »

كان للخبر وقع الصاعقة علينا ..
غادروا الوحدة ؟ ولكن لأين ؟ ولأية غاية ؟
قرب المدير فمه من الجهاز :

- « هل أفاق (موجازا) من الغيبوبة ؟ »

- « لا يا سيدي .. هو في العناية المركزة ، ويبدو
أنه سيموت في أقرب فرصة ممكنة .. »

أغلق الجهاز ، ونظر إلى دون كلام .. بعد دقائق
قال :

- « حسن يا (علاء) .. الأمر واضح .. أنا
لا أصدق حرفاً عن موضوع الاستحواذ هذا .. لكن
لا يمكن إنكار أن تصرفهم غريب .. »

ثم حك عنقه مفكراً :

- « هل لديك فكرة عن المكان الذي ذهبوا إليه ؟ »
- « بالطبع لقريّة الساحر يا سيدي .. »
- « ولماذا ؟ هل يوجد سبب قوى ؟ »
- « المستحوذ يحاول العودة إلى جذوره
لسبب ما .. »

وكان الباقي سهلاً .. لقد استولوا على السيارة
(اللاندروفر) الخاصة بـ (سافاري) ، ولم يستطع
أحد الاعتراض لأن (جيديون) له سن ونفوذ
وسلطات المدير ..

وهكذا صار الأمر واضحاً ..

قال لي المدير :

- « هل ستلحق بهم ؟ »

كان الظلام قد خيم على المكان ، وبدأ أن الرحلة
ستكون عسيرة خطيرة حقاً .. لكنني كنت موقناً أن
أية خطوة لا بد أن تتم في الظلام .. لماذا ؟ لأن
الأشياء الرهيبة تحدث ليلاً .. هذا معروف ..
في تردد قلت وأنا أنزع معطفي :

- « لا أدري .. لكن لا يوجد حل آخر .. على الأقل
أنا بحاجة للقاء زعيم القرية كي أحصل على قلادة
أخرى .. »

- « ستأخذ معك سائقًا و (بودرجا) .. »
- « إن علاقتي ب (بودرجا) هي كعلاقة التوعمين
السياميين لا يمكن فصلهما إلا بجراحة .. »
وتمت الاستعدادات سريعًا .. إن القرية دانية على
كل حال ، وليس الإعداد لها عسيرًا كالحملات ..
ولم يمضى إلا نصف الساعة حتى كانت السيارة
تتحرك - سيارة (لاندروفر) بدورها - عبر الطرقات
الوعرة قاصدة قرية (مولوك) التي أصر على نسيان
اسمها ..

قال (بودرجا) وهو يتواثب في الهواء مع
المطبات :

- « هل هذا وقت مناسب لرحلة كهذه ؟ إنني
سأهشم عنقي في حادث أليم .. »

قلت وأنا أطيّر في الهواء بدوري :
- « كل الدلا .. دلائل .. تقول إنك تعود سالمًا
دائمًا يا (بود .. بود) .. (بودرجا) .. سنلحق
ب .. بهم حالًا .. »

وعلى ضوء الكشافات كنت ترى الطريق الوعر ،
وترى قمم الجبال سوداء مسربلة في السواد من بعيد ..
كأنما هي أرض لم يرها بشري قبّلنا .. الويل لمن
ذهب هناك ، وطوبى لمن بقى هاهنا ..

على ضوء الكشافات نرى مجموعة من العمال
عاكفين على نقل ألواح خشبية إلى ظهر شاحنة ..
يتوقف السائق بجوارهم ويسألهم .. ثم يقول وهو
يدير المحرك :

- « يقولون إن سيارة كسيارتنا مرّت هاهنا منذ
ساعتين .. »

قلت وأنا أسترخى في مقعدي :

- « نحن في الدرب الصحيح إذن .. »

ونواصل الوثب فوق المطبات ...

* * *

وعندما وصلنا إلى القرية أخيرًا ، كانت الحادية
عشرة مساءً .. ومن البداية أدركنا أن شيئًا ما مهيّبًا
يحدث ..

هذا الصمت والظلام التام ، ثم المصدر الوحيد

للضوء القادم من عدد لا حصر له من المشاعل
لا يعلم سوى الله عددها ..

إن التجمعات الليلية التي تحمل المشاعل لها رهبة
لا توصف وهو مشهد يعرفه جيداً كل من رأى دفن
ميت في ريفنا المصرى ، على ضوء (الكلوبات)
حين يعتبر الريفيون طلوع الشمس على الميت خارج
قبره عاراً أى عار ..

لم يكن هنا ميت ، ولم تكن هناك جنازة ..
فقط وجوه زنجية واجمة .. وعيون لامعة زائغة ..
ورائحة عرق تؤذى الأنوف ..

وفى منتصف الحشد وقف الزعيم إياه - البدين
الأصلع - مقطباً وجهها ارتسمت عليه كل إمارات
الخطورة ..

دنونا نجرَ قدماً وراء قدم ..
فما إن رأنا السود حتى أفسحوا لنا ممراً ، ورأيت
الزعيم يرمقنا فيتعرفنا .. تبادل كلمات مع (بودرجا) ،
راح هذا ينقلها لى :

- « يقول : لقد حضرنا فى الوقت الملائم لنرى

تنصيب ساحر القبيلة الجديد الذى سيحمل اسم
(مولوك) ! »

نظرت حولى فلم أر أحداً منهم ..
لكن العربية (اللاندروفر) كانت واقفة هناك ، وقد
بدا عليها الإنهاك بعد ليلة كئيبة .. وكأنها تستعد
للنعاس ..

سألت (بودرجا) ليسأل الرجل :
- « أين هم ؟ »
أشار الزعيم إلى كوخ من الطين الجاف ، ولم يقل
شيئاً ..

عدت أسأله :
- « ماذا يفعلون بالضبط ؟ »
كان الجواب شافياً :
- « يستعدون .. »

- « إذن لماذا لانفتك بهم ونحن كثر ؟ »
- « لا أحد يجرو .. إتهم يملكون ذات قوى
(مولوك) الأصلية ، وأنتم قد أضعتم القلادة التى
كانت تحمينا .. »

هنا وضعت يدي على كتف الزعيم الشحيمة ،
وسألت (بودرجا) :



مشهد غريب .. بل ومضحك لو فكرنا في وقار (جيديون)
وكبريائه الدائنين من درجة السماحة ..

- « لقد كانت القلادة تحوى خنفسة هائلة الحجم ..
لكنها عادية جدًا .. ما هو تفسير ذلك ؟ »
قال الزعيم وهو يرمق الكوخ في توجس :
- « يقولون إن (مولوك) يتخفى في شكل
(جنذب) .. وخنفسة النمر تفتك بالجنادب ..
ويقولون إن روح الخير تتخفى في شكل تلك
الخنفسة .. لهذا يهابها (مولوك) ويتحاشاها .. »
تفسير شاعري لفظي أكثر من اللازم .. لكن الأمر
كله يتحدى التفسير .. والحقيقة ها هنا هي أن
(مولوك) كان يخاف القلادة ، والقلادة لم تحو سوى
خنفسة .. فما معنى هذا ؟ ..

في اللحظة التالية خرج (جيديون) من الكوخ ..
أقول إنه (جيديون) فقط للدقة .. لكنه - والحق
يقال - كان يختلف عنه في كل شيء .. بدءًا بالنظرة
الثاقبة المتوحشة في العينين ، ومرورًا بالجذع العاري
والخصر الذي أحاطه حزام ملىء بجماجم الحيوانات
الصغيرة ، والقدمين الحافيتين ..
مشهد غريب .. بل ومضحك لو فكرنا في وقار
(جيديون) وكبريائه الدائنين من درجة السماحة ..

يقولون في مصر : دخول الحمام ليس كالخروج
منه ..

إن هذه الأمثال تكون دوماً صادقة ..
صادقة إلى حد يثير الغيظ !

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

ورأيت القوم يتراجعون هلعاً .. بعضهم جثا على
ركبتيه وانتحب .. وتساءلت في سرى عن دور هذا
الساحر الذى يثير رعب قومه .. ما نفعه إذن ؟
قلت لنفسى وسط هذه المعمة :

- « لم تعد هناك مشكلة .. لقد ظفر هذا المجتمع
بثلاثة سحرة مرة واحدة .. فقد واحداً فاستعاد
ثلاثة .. سيبقى (جيديون) و (هانس) و (جابرييل)
ها هنا يثيرون الرعب حتى يموتوا .. وأعود أنا
إلى (سافارى) إلى حيث ينتهى هذا الكابوس ..
لا أنانية فى الأمر .. هؤلاء القوم كانوا بحاجة
إلى ساحر ، وعودوا أنفسهم على وجود واحد ..
من دونه يجف الضرع ويهلك الزرع وتهوى
السماء على الأرض .. ليكن .. لهم ما أرادوا إذن ..
أما أنا فراحل الآن .. »

وفى إشارة بليغة أومأت إلى (بودرجا) أن وقت
الانسحاب الكيس قد جاء .. المهم ألا يشعروا بنا
وسط هذه الفوضى ..

لكن ..

أشياء تحدث ليلاً ..

وكما قلت وسأقول دائماً : هناك أشياء وأشياء ..
أشياء تحدث نهاراً يمكن فهمها ، وأشياء تحدث ليلاً
نقبلها كما هي .. ونحمد الله على نجاتنا منها لو
نجونا .. ونطلب رحمته لو هلكننا ..

أشياء تحدث ليلاً ..

هذا موقف يفسر ما أقول :

في الظلام الذي استباحته المشاعل ؛ يرفع
(جيديون) يده ماداً إصبعه السبابة في رسالة بليغة
جداً : لا تتركوا هؤلاء يرحلون ..

ثم يدنو بتؤدة منا وقد أحاط بنا السود ، ليرمقني
في تهكم .. عيناه صارتا ثقيلتي الوزن حقاً كما يقول
المصورون .. أهميتهما وتأثيرهما يفوقان كل
ما عداهما ..

توقعت أن يقول عبارة سخيفة ما على غرار :

هاها ! لقد وقعتم في قبضتي .. أو : يا حمقى ..
أحسبون أنكم قادرون على تحدى (مولوك) ؟ لكنه
كان محددًا .. لم يقل شيئاً .. فقط ظل يرمقني في
صمت ..

بعد دقائق رأيت (جابرييل) يخرج من الكوخ ،
(هانس) من خلفه .. وكانا يرتديان المنزر ذاته ..
وكلاهما له العينان ذاتهما ..

ولول (بودرجا) كالثكالي :

- « دكتور ! إنهم شياطين ! أرواح شريرة ! »

لم أرد .. لكنني وافقته على كل حرف ..

وعرفت أن (جيديون) يريد سجننا في كوخ طينى
مجاور لكوخه .. طبعاً حتى يقرر ما يجب عمله معنا ..

يقتادني الزعيم من معصمى نحو الكوخ الطينى ،
وجوارى يمشى (بودرجا) مطلقاً صرخاته التى
لا تنتهى .. ويقتاده زنجى آخر ..

همساً يتكلم الزعيم .. من ثم صرخت فى (بودرجا)
كى يخرس قليلاً .. أريد أن أعرف ما سيقوله الرجل ..
بدأ الزعيم يتكلم ، و (بودرجا) يفسر لى :

- « الزعيم يقول إن خنفسة النمر تعيش في الرمال خارج القرية .. يقول ألا نجزن لأنه سيبحث عن واحدة أو اثنتين ، ويصنع لنا قلاطين تحمياننا من (مولوك) .. »

بدا الاهتمام في صوتي وأنا أسأله :

- « حقاً ؟ وهل هذه الخنافس مضمونة ؟ »

- « يقول إن بعضها مضمون .. وهو قد ورث القلادة عن آباء آباءه فلا يعرف أى سحر استعملوه في قلاذتهم هذه .. إنه سيرتجل .. »

- « خنفسة تظل حية منذ عهد الجدود ؟ »

- « هكذا يقول »

هنا خطرت لى الفكرة .. فكرة واهية لكن لا بأس بها ..

- « (بودرجا) .. هل لك أن تسأله عن أماكن هذه الخنافس ؟ »

تبادلا بضع كلمات .. راح الزعيم يشير بذراعه المكتنزة نحو الشرق .. يقول كلمات بالتأكيد على غرار : عند الجبل الصخري .. عندما ينحدر ظل القمر .. إلخ ..

فى النهاية قال (بودرجا) :

- « إن وصفه ليس عسيراً .. لكن ماذا تفكر فيه؟ »

- « الآن قل له إننا سنهرب ! »

- « أتمرح يا دكتور ؟ »

- « بالعكس .. وأعتقد أنه لن يقاومنا كثيراً وإن

تظاهر بذلك .. »

تبادل (بودرجا) بضع عبارات مع الزعيم .. ورأيت الأخير يبتسم فى فهم .. وجهه الأسود يلتسع فى رضا .. وعيناه تغمضان ..

- « قل له إننا سنهرب شرقاً .. »

- « ما الغرض يا دكت .. ؟ »

فى اللحظة التالية جذبته من يده ، ورحنا نركض مبتعدين ..

انتفض زنجيان يريدان اللحاق بنا ، لكن نظرة واحدة إلى وجه الزعيم جعلتهما يفسحان لنا الطريق .. فما إن ابتعدنا عن سور القرية بضعه أقدام ؛ حتى سمعنا الزعيم يصرخ مستغيثاً .. الغريبان قد هربا .. الحق أنه كان ممثلاً بارعاً حقاً ، وسادت الفوضى والهرج والمرج ..

★ ★ ★

كنا نركض لاهئين ..

وسألنى (بودرجا) وقد تدلى لساتيه إرهاقًا :

- « دكتور ! إلى أين ؟ »

- « يا .. يا .. ياله م .. من سؤال ! ظن .. ننتك

فهمت ! نحو أعشاش الخنافس التى وصفها هاها ..

ل .. لك الزعي .. ي .. م ! »

وهكذا اتحدنا فوق مجموعة من الصخور الرملية ..

لتعبر ممرًا ضيقًا فى ضوء القمر الفضى ..

وأخيرًا أسندنا ظهرينا إلى جدار حجري طبيعى ،

ورحنا نعبأ الهواء بجرعات كبيرة ..

همس (بودرجا) :

- « لم نبتعد كثيرًا .. هل تنتظر أن يلحقوا بنا ؟ »

- « بالفعل أنتظر أن يلحقوا بنا ! »

- « وعندها ؟ »

- « أدعو الله أن يكون حدسى صائبًا ! »

وركعت على ركبتى أتأمل الأرض الرملية .. كانت

الرؤية مستحيلة لكنى أستطيع أن أميز نقاطًا سوداء

هنا وهناك ..

هل هى ما أريد ؟

★ ★ ★

سنة أضواء تتوهج ..

بالواقع لم تكن شموغًا .. ولا كشافات .. بالواقع

لم تكن من أى مصدر صناعى .. وخيل لى أن كل

ضوآين ينبعثان من جاتبى رأس شخص ما ..

بالأحرى كان ثلاثة أشخاص يدنون منا ببطء ..

كانوا يعبرون الممر ما بين الصخور مسترشدين

بهذا الضوء العجيب .. وأدركت أنهم (مولوك) ..

(مولوك) الذى وزع ذاته على ثلاثة أشخاص

يتصرفون ويفكرون مثله ..

وكانوا آتين من أجلنا ..

شعرت بكف (بودرجا) المبتلة تعتصر كفى ..

كان يحلم بالهرب ، لكنى ضغطت على كفه فى

صرامة ..

لم تكن شجاعة منى .. بل هو يقين بأن الأمر

يفوق المقاييس المادية المتعلقة بالكر والفر .. وان

مجرد الركض لن يحمينا من هؤلاء ..

الآن أرى قامة (جيديون) الفارعة .. وقامة

(هانس) الناحلة .. وقامة (جابرييل) المنحنية ..

هناك فرصة لا بأس بها في أن أكون حمارًا ؛
عندها ما الذي يقدر حمار على عمله حين يواجه
ثلاثة شياطين كهؤلاء ؟

وابتلعت ريقى وانتظرت ..

كان (جيديون) أول من سقط ..

نظر لقدميه .. ضرب الأرض عدة مرات .. صرخ ..
ثم جثا على ركبتيه وهو يطلق عواء لم أسمع مثله
من قبل ..

وبعدها رأيت (هانس) و (جابرييل) يسقطان
أرضًا وهما يصرخان كالمسوعين ..

يتلويان .. الرمال تتناثر في كل مكان ..

ثم .. يهمد كل شيء .. لا صوت سوى الأنين ..

(بودرجا) هو أول من مزق الصمت .. وكان

ما قاله طبيعيًا :

- « ماذا حدث يا دكتور ؟ »

قلت وأنا أشعر بالدماء تعود إلى رأسي :

- « اليرقات .. خنفسة النمر تدفن يرقاتها في
وضع رأسى تحت الرمال ، وتظل رعوس اليرقات
خارج الرمل متأهبة للافتراس .. لقد شعر (مولوك)
بها .. ولكن كان ذلك متأخرًا جدًا .. لقد افترست
اليرقات قوته الشريرة »

همس وهو يرتجف كورقة :

- « هل تعنى أنه مات ؟ »

- « لا أدري .. لكن خطره تدنى .. »

- « وهل تعنى أنهم ماتوا ؟ »

- « يمكننا أن نتحقق .. »

وبحذر وكأننا نتلمس ثعابين غافية ، غادرنا
موضعنا .. ودنونا من الثلاثة المهاجمين ..

جثوت جوار (جيديون) وتحسست نبضه بحذر ..

لم يمت بعد ..

ببطء فتح عيني ، ولما رأيت النظرة الغبية الخاوية

من المعنى في عيني بدأت أطمئن ..

ازداد اطمئناتى حين غمغم فى إعياء بالكلمة

الخالدة :

- « أين أنا ؟ »

أشياء تحدث ليلاً ..

هناك أشياء وأشياء .. لكن (موجازا) كان يتحسس طريقه في الدغل عالماً - بشكل ما - أنه ينتمى إلى عالم الليل ، وأن عليه ألا يهاب شيئاً في رحلته الطويلة .. إنه هو الخوف ذاته ..

ماذا سيحدث بعد ذلك ؟

حقاً لا يمكننا أن نعرف .. فهذا خارج نطاق عملنا في (سافاري) ..

د. علاء عبد العظيم

أنجاوانديري

www.dvd4arab.com
Hany3H

www.dvd4arab.com

قال (بارتلييه) وهو يغلق الملف أمامه :

- « قصة لا تصدق يا (علاء) .. مس شيطاني وخنفسة .. ويرقات .. وجنادب .. وحالة جنون وفكي لثلاثة أطباء .. بل أربعة إن لم نتجاوزك .. »
وعقد كفيه تحت ذقنه ، وغمغم :

- « بالطبع لا أصدق حرفاً .. لكني سعيد بالنتيجة .. لقد عادت المياه إلى مجاريها وسادت العدالة وعاشت الحملان جوار الأسود .. »

سألته وأنا أستعد للنهوض :

- « والجثة ؟ »

- « حولها رجالنا إلى رماد .. »

لم أكن مستريحاً لفكرة حرق البشر أحياء كانوا أو موتى ، لكنني استطعت إلى حد ما فهم المدير .. ما كان يملك حلاً آخر ..

- « و (موجازا) .. هل أفاق من الغيبوبة ؟ »

- « ماذا ؟ ألم يخبروك بعد ؟ »

ووضع عويناته ليواصل قراءة أوراقه مردفاً :

- « لقد اختفى من (سافاري) تماماً ! »

★ ★ ★

سافاري

روايات
مصرية
للحبيب

هذا امرنا الطبيعي، شمالاً وجناباً.

لكني يظن حياً وكفى يظن طبيياً

أشياء تحدث ليلاً

هناك أشياء وأشياء ..

أشياء لاتحدث إلا نهاراً ، وأشياء
لاتحدث إلا ليلاً .. هذه الأخيرة تتباين
دوماً .. لكنها دائماً مفرجة أو مخيفة أو
بشعة أو ممنوعة .. هذا شيء طبيعي .
وإلا فلماذا لاتحدث إلا ليلاً .



د. احمد خالد توفيق

www.dvd4arab.com

Hany3H

المؤسسة العربية الحديثة

تصوير وتصميم والتوزيع
011 4342424 - 011 4342424
www.hany3h.com

العدد الحادس
الآن تراه !

من مصر ٢٠١٥
بمساهمة بالديار الأمريكية
مركز الدولة العربية والعالم